مولودون..
من جديد
مذكرات
تائبة
إلى الإيمان

قصص مسيحية من واقع الحياة

ـ ١٧ ـ

مولودون من جديد

(مذكرات تائبة إلى الإيمان)

دار مجلة مــرقس

كتاب: مولودون من جديد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٧٥٦٩ / ٩١
الترقيم الدولي: x ــ ٠١٢ ــ ٢٤٠ ــ ٩٧٧
مطبعة دير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون
ص. ب ٢٧٨٠ القاهرة

مترجم عن كتاب: Nous, convertis d'Union Soviétique
للفيلسوفة الروسية المعاصرة: تاتيانا جوريتشيفا Tatiana Goritchéva .
تقديم وتعليق الفيلسوف الفرنسي المعاصر والعالم الآبائي: أوليفييه كليمانت Olivier Clément .

المحتويات

	صفحة
خبراتنا الدينية بعد عودتنا إلى الإيمان	٥
الطبقة المثقفة والكنيسة في روسيا (١)	١١
الطبقة المثقفة والكنيسة في روسيا (٢)	٢٠
رسالة إلى صديقة في الغرب	٢٧
يومياتي في دير للراهبات (١)	٣٥
يومياتي في دير للراهبات (٢)	٤٣

• هذه هي دعامة حياتنا الجديدة: «إن الشر الطاغي لا يمكن أن يُقهر إلا بالصلاة.» (تاتيانا)

خبراتنا الدينية

بعد عودتنا إلى الإيمان

●○●○●

إني أعترف بأن ظروف الحياة في مجتمعنا رغماً من قسوتها وعنفها لا تعوّق البتة حياتنا الروحية، بل إنها تعاوننا بالأكثر على أن نجد الحقيقة الكبرى. فنحن نعيش في عالم بدأ منذ ما يقرب من خمسٍ وستين عاماً (١٩١٧ – ١٩٨٢م) يُكتم فيه على كل مستنير وصالح وراء الأسلاك الحديدية الشائكة المحيطة بمعسكرات الاعتقال[١]. وكما حدث منذ ألفين من السنين (أي منذ بدء الكرازة بالمسيحية)، فإننا نحن الآن أيضاً في نفس الموقف نختار بين أمرين: إما الخير اللانهائي (الله) أو عالم الشر المستبد. أما من جهتنا فقد أصبح موضوع الإيمان مسألة حياة أو موت؛ لأن في مجتمعنا بظروفه الحالية لا يمكن لإنسان أن يعرّج بين فريقين.

إن الصفوة الممتازة الآن من الشعب الروسي، أعني بها الطبقة المثقفة (من فلاسفة وأدباء وفنانين)، يتردّدون على الكنيسة. وهم مع بقية القوم الذين يهرعون

---

(١) يُقال – كما سمعنا من أحد مراسلي الصحافة المصرية الذي يتنقل بين روسيا وبلاد أوربا الشرقية – أن الحكومة هناك الآن بدأت في تغيير سياستها في استخدام العنف مع المتمين للدين، بل وأفرجت عن الكثيرين ممّن كان قد حُكم عليهم بالسجن بسبب مجاهرتهم بالإيمان أو كرازتهم بالمسيحية علناً. لقد تم الانفراج بين الدولة والكنيسة خلال الأعوام الثلاثة الماضية (راجع ما ورد عن ذلك في مجلة مرقس أعداد عامي ١٩٨٨ و١٩٩٠ في باب «حول العالم»).

إليها لا يلجأون إلى هناك لكي يهربوا من مسئولياتهم، أو عن تغافل منهم عن أمورهم وواجباتهم، أو لمجرد أن يجدوا مكاناً هادئاً يستريحون فيه من تبعات الحياة بعض الوقت، وإنما أقول عن إدراك يقيني إن الذين يأتون إلى الكنائس الآن كلهم أصحاب مواهب، أذكياء، وفي ملء مراكزهم وصميم نجاحهم في حياتهم العملية، وقد تمكَّنوا من أن يتقابلوا مع الله. فكثيرون منهم قد قبلوا العماد في ريعان شبابهم بمحض إرادتهم. وعديد من الذين دخلوا الإيمان حديثاً قد وجدوا الله في حوار طارىء لم يكن في الحسبان. ومنهم مَن قرأ الإنجيل عَرَضاً (حينما يكاد أن يكون من المستحيل أن يوجد مثل هذا الكتاب صُدْفَةً)، فانفعل بشدة إذ بدا الإنجيل في إحساسه كما لو أنه كُتب له خصيصاً؛ وبينما هو لم يكن يبحث عنه، إذ به يجد الإنجيل يسعى وراءه ويلتقيه ليأتي به إلى الإيمان ويمنحه الخلاص. وآخر في عبوره على كنيسة أرثوذكسية تأخذه الدهشة من عمق ورونق ورصانة كل ما يجري فيها. وآخر أيضاً ينذهل تماماً عندما يتصنَّت إلى صلاة فَيُخْتَطف من هذا العالم ويُحمل بروحه إلى العالم الآخر.

إننا عندما نرى اليوم في روسيا آلافاً تلو آلاف من الشبان والشابات يهتدون إلى الإيمان، مع أنهم قد تربوا منذ نعومة أظفارهم على اللادينية؛ فإنه يمكننا أن نقول دون أدنى مبالغة: «إن الله قادر أن يُقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم» (كما قال يوحنا المعمدان في الإنجيل: مت٣:٩). فنحن لم نتلقَّ أي تعليم ديني في طفولتنا، وأول زيارة للكنيسة غالباً ما تُعتبر عندنا معجزة لا يمكن أن ينمحي ذكرها أبداً من وعينا.

وهكذا أعطت شركتنا في الكنيسة لحياتنا ليس فقط المعنى الجديد بل وأيضاً أعطتنا «الجسد» الذي ينبغي أن تُحفَظ فيه هذه الحياة. وإذ تخلينا عن أساليب حياتنا الأولى أقلعنا عن سلوكنا وعوائدنا القديمة، حيث كنا سابقاً بلا أدنى حصانة في مواجهة العالم الخارجي؛ لأننا لم نكن بعد نعرف الكنيسة التي ليس سواها تُقلِّدنا بأسلحة النصرة. لقد بدَّلْتْ ثيابنا القديمة بأقمصتها الطاهرة النقية: فإذ قد تعمَّدنا في

المسيح فإننا بالضرورة قد لبسنا المسيح(٢).

إننا نحن العُرْج المعلولين، نتعلّم في الكنيسة من جديد أن نمشي، وأن نبصر، وأن نتكلم، وأن نصمت. إني لا أنسى التغيير المذهل الذي ظهر على وجوه أصدقائي القدامى، تلك الوجوه التي كانت سابقاً تنمُّ عن الخلاعة وعدم الإكتراث بالإيمان — أما الآن فهم (شباناً وشابات) يقفون في الكنيسة بجانبي بكل خشوع، عفيفين متلألئين بالبرارة.

لم تَعُدْ البطولة التي تفوق قدرة الإنسان بل ولا كل النماذج العليا البشرية في إمكانها أن تُغوينا؛ بل القداسة وحدها هي التي أَسَرَتْنا وجعلتنا دائماً منجذبين نحوها. إننا نرى بوضوح أن الإنسان قد خُلق لمصير ليس هناك مصير أمجد منه: أن يصير «شريك الطبيعة الإلهية»(٣)، وبالتالي فهو مدعوٌّ لتقديس كل لحظة ونسمة من حياته.

---

(٢) المضمون الرمزي للثوب يحتل في طقس المعمودية الأرثوذكسية مكانة هامة: فالرداء الأبيض يُدَثَّرُ به الكاهن المُعمَّدَ جديداً وهو يقول: «عَبْد الله فلان... قد ارتدى الآن ثوب البر باسم الآب، والابن، والروح القدس...». وفي أثناء ذلك يُرتِّل بهذا اللحن: «امنحني حُلَّةً نورانية أنت يا مَن الْتَحَفْتَ بالنور كثوب، أيها المسيح إلهنا». وبعد تغطيس المُعمَّد ودَهْنه بالزيت المقدّس (الميرون)، يطوف الكاهن بالمعمَّدين مصحوبين بأشابينهم في موكب حول بيت العماد (أو صحن الكنيسة) ثلاث مرات بينما يُرتل الشمامسة بهذا اللحن: «أنتم جميعاً يا مَن اعتمدتم في المسيح، قد لبستم المسيح. الليلوياه» (حسب طقس الكنيسة الروسية الأرثوذكسية). هذا ما يشير إليه النص أعلاه.

(٣) كما يقول الفيلسوف والعالم اللاهوتي الأرثوذكسي الفرنسي المعاصر أوليفييه كليمان (الذي كتب مقدّمة الكتاب): «بصلاة القلب، وبنعمة الاستنارة يجد الإنسان توافق كيانه الداخلي ووحدته. إنه يعطي ظهره للتفرقة والتحزُّب والانقسام. فيتصالح فيه الروح مع القلب والنفس مع الجسد، ويعود الإنسان إلى وحدته الأصيلة. وتُسْتَردُّ له مرة أخرى صورة الله، والملامح الإلهية...» وذلك في كتابه:

(J. Serr et O. Clement, La Prière du Coeur, Spiritualité Orientale, n° 6, 1977, p. 22).

أية قوة تلك المذخرة في «تطويبات العظة على الجبل»! كل مرةٍ نسمعها أثناء القداس تبدو لنا كما لو أنها تُتلى علينا لأول مرة، بقولها: «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات.» (مت ٥: ٣)

منذ عهد بعيد قد عرفنا وتيقَّنا أن الإنسان الذي يتشبث بالقيم البشرية النسبية هو أحمق، وأنه من المستحيل أن يحيا في رغدٍ من العيش واكتفاء الذات، أو في عالم أخفقت فيه كل مخاتلات الغرور البشري لبناء فردوس على الأرض.

«طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيَّروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الإنسان» (لو٦: ٢٢). وطوبى للكنيسة المُمجَّدة بمثل هؤلاء الشهداء.

نحن على يقين من أن الله موجود وكثيرون منا قد أضحوا مسيحيين على غير المتوقَّع، وذلك لأنه قد أُنعم عليهم بإعلان سمائي خاص. لقد اجْتازوا اختباراً مثيلاً لذلك الذي جازه القديس بولس في طريقه إلى دمشق[٤]. هذه هي حقيقة تَحوُّلِنا إلى الإيمان وإنه لأفضل برهان على وجود الله حيًّا فعَّالاً وقريباً منا جداً.

هذا هو — قبل كل شيء — المعنى الروحي والمضمون السري للمسيحية الذي نفهمه، وهو دعامة حياتنا الجديدة: «**إن الشر الطاغي لا يمكن أن يُقهر إلا بالصلاة**». هذا هو الحوار المستمر مع الله، أي الصلاة التي أصبحت لنا الآن أكثر ضرورة من الهواء الذي نستنشقه. إنها حياتنا. والمؤلِّفون الروحيون وآباء الكنيسة قد أصبحوا هم أساتذتنا (الخبراء فيها)، وبات كتابنا المُفضَّل هو الفيلوكاليا[٥] (هذا

---

(٤) راجع أعمال الرسل ص٩و٢٢.

(٥) كلمة «الفيلوكاليا»: اصطلاح يوناني معناه الحرفي «محبة الجمال» (أي اجتلاء القلب ونقاوته، وعودة الإنسان مرة أخرى إلى بهاء طبيعته الأولى التي عندما أبدعها الله قيل بلسان الوحي: «ورأى الله كل ما عمله فإذا =

الديوان الثمين) الذي يحتوي على مجموعات من الصلوات والتعاليم والقصص النسكية.

بمحض حريتنا وبمقاصدنا الخاصة أقبلْنا على التعرُّف بالمحبة الإلهية. وخبرة تحوُّلنا إلى الإيمان تؤكِّد لنا أن التاريخ (الحي) لا تصنعه القدرات البشرية وإنما الروح القدس، وأن كنيسة الله لهي أشد رسوخاً من المؤسسات الأرضية. لقد أنتجت روسيا طرازاً جديداً من الإنسان — وربما يكون هذا أعظم شيء اكتسبناه — وهو هذه الشخصيات المتميزة بالحرية المطلقة، والتي هي على أتم الاستعداد أن تضحي بكل شيء من أجل مُثُلِها العليا بل وأن «يموتوا من أجل أحبائهم»(٦)، كائنات مُضيئة رابطة الجأش وخلاَّقة. إنهم أحرار ولكن دون أن يكونوا غير خاضعين لمتطلبات الإيمان، أو أن يتصرفوا منساقين للآخرين المندفعين في طريق التدمير. إن المسيحية عندهم ليست أداة في أيديهم للنقد والمعارضة، وعلاقتهم مع مضطهديهم منزَّهة تماماً عن أي إضمار للسوء أو إحساس بالحقد أو البغضة. ليس لهم إلا وسيلة وحيدة للإحتجاج ألاَ وهي القدوة الإيجابية. وهكذا تصبح المسيحية باتخاذها طريق الحب الكامل، الطريق الوحيد إلى تلاشي الخوف، لأنها تجعلنا نكتشف حياة مختلفةً تماماً عما خبرناه سابقاً، ولأنها حقيقة جديدة عجيبة في إمكانها أن تقهر العالم (عالم الشر وسلطانه): «الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً.»

= هو حَسَنٌ جداً»).

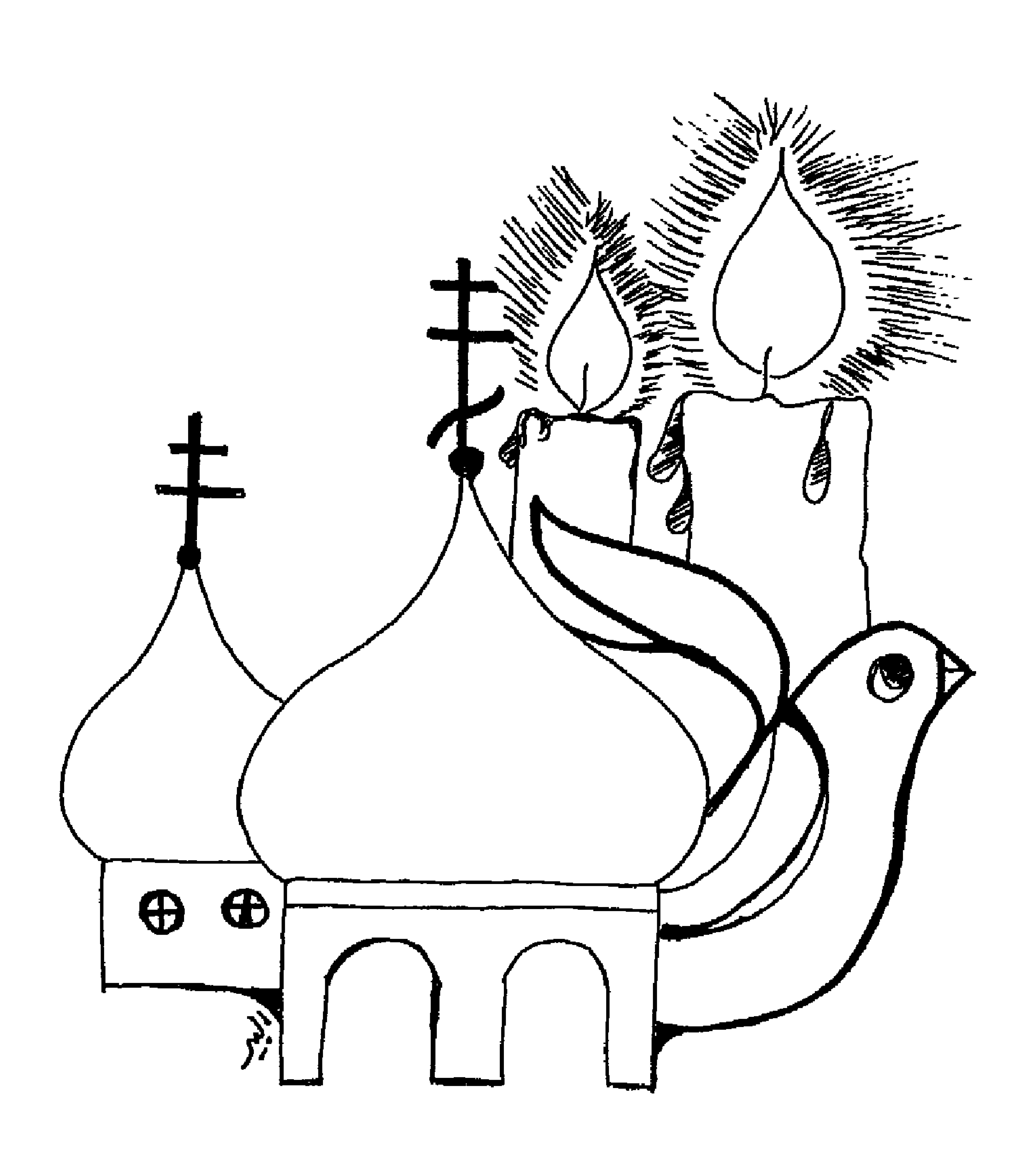
وكتاب «الفيلوكاليا» الكبير باليونانية طُبع ونُشر أولاً في عام ١٧٨٢م في ڤينيسيا Venise، وترجم للغة السلاڤونية في عام ١٧٩٣ بائيس ڤيلتشكوفسكي. ومن بين ما يحويه من توجيهات وتعاليم روحية هناك «اختبار صلاة القلب» أو «صلاة يسوع» التي تقوم على أساس الدعاء الدائم باسم الرب بهذه الصيغة: «ياربُّ يسوعُ المسيح بن الله، إرحمني أنا الخاطىء» (بحسبما جاء في لو١٨: ١٣و٣٨). وقد تصدَّرت الفيلوكاليا عصر النهضة الروحية في روسيا في القرن الـ ١٩ وكانت هي الكتاب الوحيد مع الإنجيل الذي كان يحمله «السائح الروسي» (صاحب كتاب: «صلاة يسوع» المشهورة).

(٦) راجع يوحنا ١٥: ١٣ «ليس لأحد حب أعظم من هذا: أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه».

(يو١٢: ٣١)

الآن في روسيا كلُّ مسيحي هو على وعي تام بمسئولياته — وكلام الإنجيل هذا يُدوي بقوة أشد من أي وقت آخر:

«أنتم نور العالم...، أنتم ملح الأرض.» (مت٥: ١٤و١٣)



الطبقة المثقفة والكنيسة

(في روسـيا)

ـ ١ ـ

□٭●٭□

نحن الصفوة المثقفة العائدة إلى الإيمان، ماذا يمكننا أن نعمل لاستخدام مواهبنا في ثقافة مسيحية خلاَّقة نستقي منها ونعطي؟ هذا ما اتَّفقت عليه آراؤنا وأحسسنا بضرورته: قلوب الناس قد خارت بسبب البلايا السابقة واللاحقة التي نتجت من الإلحاد ومحاربة المسيحية. إذن، فلنبدأ بالرجوع الحُرّ غير الهيَّاب إلى المسيح ولْندَعْ روحه يدخل في حياتنا وفي ثقافتنا... هذا التطور، بلا ريب، لا ينبغي أن يكون قسراً من الخارج، بل من الداخل، نابعاً من قلب حرٍ، ومُكَمَّلاً عن طريق شخصية استقلالية غير مُقَلِّدة أو مدفوعة بأي حافز خارجي، وإلاَّ فلا علاقة له بروح المسيح والإنجيل؛ بل ولا يمكن له أن يتحقَّق في الواقع العملي. إنه لا يمكن أيضاً أن يكون إلزامياً من جهة الكنيسة أو الدولة. خلق ثقافة مسيحية هو ممكن فقط عن طريق التجديد الروحي للقلوب. هذا التجديد لا يمكن الحصول عليه إلاَّ من خلال معاناة الآلام والزهد في مغريات الدنيا. لذا يرى عديد من المفكرين بيننا أن روسيا سيكون لها السبق الأول في أن تخوض غمار هذا الطريق، لأنها فاقت الشعوب الأخرى بحق في مقاساة الآلام وفي الزهد الاختياري الذي اتَّخذه نُسَّاكها بالأكثر وكنيستها بصفة عامة، منذ بدء المسيحية عندنا حتى الآن.

لقد بدأ يتحقق كلام الفيلسوف الروسي المهاجر إيڤان إلين IVAN ILINE

الذي كتبه عام ١٩٥١م، فما مرت إلاَّ بضع سنوات لرؤيته المستقبلية لروسيا، وها الآن تنبثق فيها ثقافة جديدة مسيحية.

نحن اليوم نشاهد بأعيننا إمكان قيام تآلف عجيب مبدع — من الوجهة البشرية لا يمكن تفسيره — بين الحرية الفكرية والانتماء التام للكنيسة، بين القدرات العقلية والفنية الخلاَّقة والتسليم الكامل لمستلزمات الإيمان، بين المرونة والشدة. في الكنيسة الروسية قد وُلِدَتْ من جديد موهبة الإرشاد الروحي، ومعرفة أعماق النفوس، وتوجيه كلٍّ منها في الطريق القويم الذي يتناسب معها. قبول الكنيسة أو إدانتها لأمر ما قد عادا هما المعيار الأساسي والحاسم لدى الرسَّامين والشعراء والكُتَّاب والعلماء.

هؤلاء القوم الذين يترددون على الكنيسة اليوم والذين هم أكثر الناس حرية وجرأة: وهم الذين رفضوا تماماً أن يكونوا عبيداً للبشر أيًّا كانوا، يستعبدون أنفسهم — طواعية وبفرح غامر — لله.

لكي نُقْبل إلى الكنيسة يلزمنا — لا الإيمان وحده — بل الثقة الوطيدة: «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد الصغار، فلن تدخلوا ملكوت السموات» (مت١٨: ٣ — حسب النص المترجم). كل شيء في كنيستنا كان يبدو لنا أمراً شاذاً: القداس في لغة نصف مفهومة — سلاڤونية —؛ أولئك السيدات المتقدمات في السن المفرطات في تنبيهنا دائماً واللواتى لا يكففن عن لفت نظرنا عن أن نتبع تماماً نظام الخدمة؛ مصحِّحات طريقة رشمنا للصليب، أو مشيرات لنا أن نقف، أو أن نُقَبِّل الأيقونات. ومع هذا كانت نشوة فرحتنا بوجود الله عارمة ومذهلة للغاية حتى إننا لم نجد أي صعوبة في أن نستسيغ مثل هذه الإزعاجات أو ما هو أشد منها بكثير.

نحن القابلين للإيمان حديثاً قد قَبِلنا الكنيسة ككل بما فيها من نواهٍ وأوامرَ وفروضٍ، إننا نريد أن نتعمَّقها وندرك كُنْهها جسداً وروحاً. كلٌّ منَّا يؤمن أنه يوماً

ما سينفتح أمامه ما كان مُغْلَقاً عليه فهمه، لأننا أحببنا هذه الحياة الجديدة المُطِلّة علينا ببهائها، مُقْصِين عن أنفسنا تماماً كل رغبة في معرفة الأمور السطحية التي تأتي بها الملاحظة العابرة أيًّا كانت.

إنني أذكر جيداً التغيير المفاجيء وغير المتوقع الذي طرأ تقريباً على كل أصدقائي الذين كان بعضهم ساخرين، أو خليعين، أو مهزارين، أو منكرين لكل دين، وأصبحوا مسيحيين أرثوذكسيين. أي رزانة ووقار اتّسمت به ملامحهم الآن! وكيف عادت إليهم قوة وحيويّة الشباب! وأي سلام داخلي ينضح على أعمالهم وكلامهم وأحاسيسهم. كم من علماء وكُتّاب مرموقين ترددوا على الأديرة ومن ثَمّ كرسوا حياتهم للرهبنة سرًّا مُعْرِضين عن العالم وما فيه من ثقافة وعلم. وكأنهم تحققوا مع كثيرين غيرهم من صدق ما قاله روزانوف (١): إنه بجانب الإنجيل فكلٌّ أدب عالمي يبدو قشاً، وبعد معرفة شدة لذة حلاوة يسوع فكلٌّ طعام آخر يضحى علقماً، لا مذاقة له على الإطلاق.

نحن المولودين من جديد المعمَّدين حديثاً قد نبذنا بقوة وحزم ماضينا الوثني، بما فيه من تطلعات دنياوية زائفة؛ فكثيرون منّا بادروا بكل رضى وفرح إلى الإقلاع عمّا كان يحتل حياتهم السابقة إلى وقت دخولهم الإيمان. حتى إنهم اعتبروا بعد ذلك أن نَظْم الأشعار الدنياوية هو نوع من الخطيئة، والفلسفة هي ثمرة الكبرياء، والتشيُّع للمذاهب السياسية المتباينة هو ضرب من تصارع الأهواء النفسية وتعارك ميول حب التسلُّط في الإنسان.

---

(١) ڤاسيلي روزانوف Vassili Rosanov (١٨٥٦—١٩١٩).

فيلسوف متدين وناقد أدبي. في تعليقاته على الأدب الروسي في عصره استنبط من كتابات دوستويفسكي بصفة خاصة أنه مفكر ديني، كان في كل كتاباته ينادي بالعودة إلى الأخلاق المسيحية في أصولها الأولى وضبط السلوك على أساسها. وعندما شارك في اجتماعات بيترسبورج الفلسفية — الدينية في عام ١٩٠٧م ألقى محاضرة بعنوان «شدة حلاوة يسوع ومرارة ثمار العالم».

لقد أصبح من العسير علينا أن ننظر إلى العالم خارج المسيح، غيرتنا الروحية تدفعنا أن نقول مع القديس بولس الرسول: «لأني وددتُ لو لم أعرف شيئاً بينكم إلاَّ يسوع المسيح وإيَّاه مصلوباً.» (١كو٢: ٢ — حسب النص المترجم)

ولكن هذا التخلُّص من العالم ليس إلاَّ نصف الطريق، وجانب من الحقيقة، لأنه في نفس الوقت بقدر ما نعتزل عن العالم، بقدر ما نجده ونتعرف على غاية وجوده التي أرادها الله له. وهذه هي الأعجوبة التي تجلَّت لنا بوضوح في كنيستنا الروسية. فبينما هي مُضَيَّقٌ عليها الخناق ومضطَهَدة أمكنها أن تستوعب كل مواهبنا ومعارفنا الثقافية المتنوعة مُبارِكةً إياها ومُصَالِحة لنا مع عالم الفكر والفن. وبفم أفضل رعاتها ليست أنها سمحت لنا فحسب أن نزاول أعمالنا الفكرية والفنية؛ بل إنها ألحَّتْ علينا أن نتذرع بالشجاعة، وألاَّ نتخلى عن مُزاولة قدراتنا الإبتكارية المتنوعة.

اكتشاف حقيقة العالم في نور المسيحية أصبح اليوم من صميم رسالة العلمانيين الواجب عليهم نشرها بحسب إمكانياتهم الخاصة، نحن نطلب من آباء إعترافنا ألاَّ يتكلموا خارج حدود كنيستهم، لأن القانون عندنا يعاقب على أية «دعاية لنشر الدين»، ولكن يكفينا أن نحيا بإرشاداتهم ومشوراتهم الروحية، وعلينا نحن بعد اختبارها في حياتنا أن نحملها إلى العالم بحسب أمر الرب: «ما أقوله لكم في الظلمة، قولوه في النور؛ وما تسمعونه همساً نادوا به على السطوح.» (مت١٠: ٢٧)

«الإشتراكية» المسيحية التي نادى بها الرسل الاثنا عشر الذين قهروا العالم ليست هي وحدها غاية هؤلاء الذين تركوا نطاق الإنتاج العلمي والثقافي ليتكرَّسوا بالكامل لحياة الصلاة. فحتى الكُتَّاب والشعراء والرسامون الذين أوقفوا مواهب عبقرياتهم على خدمة المسيح، كانوا دائماً على أتم الإستعداد أن يتركوا كل شيء، عالمين تماماً أن بدون المحبة المضطرمة لله، يتحول إيمانهم المسيحي إلى مذهب نفعي. حبنا للمسيح صار وحدة واحدة متكاملة لا انقسام فيها، فقد تيقَّنا تماماً أنه لا يمكننا

أن نكون مسيحيين إلاَّ ١٠٠٪ وأن المسيحي في أيامنا هذه لا يمكن أن يَكُفّ من أن يكون شاهداً لله أو «شهيداً» (بالمعنى الآخر الذي تحمله نفس الكلمة بلغة الإنجيل في الأصل اليوناني). وما برح أن يكون أيضاً «كارزاً بالمسيح مصلوباً لليهود عاراً ولليونانيين (أصحاب الفلسفة والحكمة الأرضية) جهالة.» (١ كو ١: ٢٣)

إيماننا المسيحي قد وحَّد قلوبنا رغم تباين ثقافتنا ومهماتنا التي نؤديها، وقد بات لنا من الوضوح بمكان أن كنيستنا يمكن أن يُطْلَق عليها بحق بيت الآب «حيث توجد منازل كثيرة» (يو ١٤: ٢)، وحيث يختار كل واحد طريقه الخاص به ، والمعروف فقط من الله ومنه، وفيه يجد المرء ذاته إنساناً جديداً تماماً، وكائناً عجيباً للغاية لا يمكن أن لا يعيه هُنَيْهة، بل يحس بأن طاقاتٍ تنبعث فيه، وأنه مغمورٌ كُلِّيةً بالحب الإلهي.

الكنيسة قد باركت على البعض منا، ليتركوا العالم ويصيروا رهباناً أو راهبات، وعلى آخرين ليكرسوا حياتهم بالكامل لعمل التبشير والكرازة بالإنجيل. و يوجد بين أصدقائي مَن يمثِّل هاتين الفئتين، أما عن نفسي فقد تردَّدت كثيراً في أيِّهما أختار. فتارة تتملكني حميَّة شديدة أن أترك كل شيء وأسلك طريق الرهبنة التوحدية، وأحياناً أخرى يبدو لي العالم وكأنه انعكاس لبهاء مجد الله، وأجد أن محبة الله قد صالحتني مع الناس، والكتب، والثقافة، وكل الخلائق الهائمة بمبدعها. بيْدَ أنني لم أحسَّ بأن لهذين الإتجاهين في حياتي تعارضاً يؤدي إلى التصارع النفسي المؤلم، لأن مثل هذا لا وجود له في عالم الروح، بل هو يكاد لا يتعدى دائرة الفكر، لأن كنيستنا الأرثوذكسية علَّمتنا أن طريق الراهب وطريق المسيحي العامي الذي يعيش في العالم هما واحد في المسيح. وقد ساعدني الأب الروحي كثيراً أن أجد المعيار الدقيق الذي لا بد منه لموازنة أعمالي التي أُعبِّر بها عن محبتي لله وللقريب.

وقت أن اهتديت إلى الإيمان، تعمَّد كذلك أغلب أصدقائي وأضحت المسيحية لنا جميعاً أسلوباً للحياة الحقَّة، وطريقاً مُجْدِياً مُفعماً بالنِعَم يشهد لسيادة صلاح الله وقدرته الخلاَّقة اللامتناهية. في مستهل السبعينات كان ما يقرب من ثُلُثَيْ شعراء ورسَّامي لينينجراد قد قبلوا الإيمان؛ وكثيرون من خريجي الجامعات الذين عرفوا الله حديثاً بادروا بتقديم طلباتهم للدراسة في الأكاديميات الأرثوذكسية في موسكو ولينينجراد أو معهد أوديسا Odessa اللاهوتي؛ ولكن الأغلبية منهم لم تُوفَّق في إيجاد مكان لها. فالقبول بمؤسسة كنسية قد بات أكثر صعوبة من الإلتحاق بأكاديمية العلاقات الدولية(٢)، أو أي معهد آخر للدراسات العليا الجامعية. وهذا ينطبق بالأكثر على المقبلين إلى الإيمان من ذوي المعارف العالية لأن السلطات الحاكمة (كانت) تخشى أي تقارب بين الثقافة والإيمان ومع ذلك توفَّق — بأعجوبة — بعض أصدقائنا من علماء اللغات وعلماء الطبيعيات في دخول الأكاديمية اللاهوتية وإتمام الدراسة فيها وقد أضحوا الآن كهنةً بالفعل.

بيْدَ أنني على يقين من أن القوة القاهرة الدافعة التي لحياتنا الروحية ستؤول بنا بلا شك إلى بداية عهد جديد للكرازة العلمانية. فإذا كان كهنتنا حتى الآن غير مسموح لهم أن يقوموا بأي نشاط خارج نطاق ممارسة الأسرار الكنسية والخدمات الدينية التقليدية المعروفة، فإنه من المحتَّم علينا نحن العلمانيين الداخلين للإيمان حديثاً، أن نحمل على عاتقنا عبء القيام بدور التربية المسيحية وتعليم الوافدين على الإيمان من كل طبقات الشعب. لذا دعت الضرورة لإنشاء المعاهد اللاهوتية لتأهيل الشباب بالثقافة المسيحية، وأشهرها معهد أوجورود نيكوف بموسكو(٣)، ومعهدنا بلينينجراد

---

(٢) المؤسسة التي لها المكانة الأولى المرموقة في الدولة. حيث فيها يتثقف دبلوماسيو المستقبل.

(٣) أليكسندر أوجورود نيكوف Alexandre Ogorrod Nikov حُكم عليه عام ١٩٧٩ بالأشغال الشاقة ٦ سنوات في معسكر العمل، والنفي ٥ سنوات.

اللذان تأسسا في وقت واحد، ولكنهما مستقلان أحدهما عن الآخر.

هذان المعهدان كانا ضرورة لنا لكي نتعمّق مسيحيتنا ونتعرف على مكاننا فيها.

وهكذا بدأ معهدنا الثقافي المسيحي في أوائل عام ١٩٧٤م، وكنّا في البداية نعقد حلقاتنا الدراسية في مسكن عالمة الطبيعة مارينا ندروبوفا، وبعد ذلك في منزلنا الذي كان يحمل رقم ٣٧ — هذا الذي أُطلِق على معهدنا منذ ذلك الحين حيث كنّا نقطن ثلاثتنا معاً: الشاعر ڤيكتور كريفولين، والعالم الأحيائي ليڤ رودكيفتش، وأنا. وسرعان ما أصبح «٣٧» يمثّل الطليعة من الكُتّاب والرسّامين والفلاسفة. وكان عدد الحاضرين يوم الجمعة أحياناً أكثر مما يضمهم أي اجتماع آخر حر للمثقفين في لينينجراد؛ إذ كانت الغُرَفُ الثلاث الكبيرة للإستراحة تمتلىء عن آخرها، بل كان المرتادون يجلسون على حوافّ النوافذ وعلى الأرض، ويقفون في الممرات، وكلهم انتباه لما يقوله المحاضرون. وكنّا نَدْرس آباء الكنيسة وتاريخ مسيحية القرون الأولى، كنّا نقرأ حياة وأعمال (أي سِيَر ومؤلفات): القديسين باسيليوس الكبير؛ غريغوريوس النيسي، غريغوريوس النازيانزي، ترتُليانوس، أوريجانوس، أثناسيوس الكبير، هؤلاء الذين صاروا لنا بمثابة كُتّاب معاصرين، يحيون بيننا وقريبين منا جداً بل وكأنهم في نفس المكان الذي نجتمع فيه. ومع قبولنا أننا ما زلنا ينقصنا التأهيل الكافي، وبلوغ النضج الكامل والصلاحية من جهة المعرفة اللاهوتية؛ إلاَّ أننا قد تُبْنَا عن ماضينا الأثيم، خائفين من الرجوع إلى أباطيلنا وغرورنا كخوفنا من الطاعون، فلنا الإحساس القلبي اليقيني والوعي الكامل أننا قد وُلِدْنا من جديد. وها نحن نسعد بنعمة الله، وعلى أتم الاستعداد للبذل والتضحية، وهذا مما يجعلنا قريبي الصلة بالمسيحيين الأوائل.

وها هو أحد رفقائنا في الإيمان الشاعر كريفولين يعبّر عمّا نحن فيه من حُظْوَةٍ

فيكتب قائلاً: [إن نور المعرفة (المسيحية) الذي لهذه الثقافة الـ «تحت أرضية»(٤) لهُوَ حقاً نورٌ رسولي].

لم نكن نأسف – في ذلك الوقت – إلاَّ لأمر واحد هام للغاية ذلك هو عدم وجود «أب روحي» للاعتراف والإرشاد في طريق الإيمان. وكنَّا نتردد على الكنيسة، البعض منَّا في غالب الأوقات وآخرون في النادر جداً، و بعضنا كانوا يشتركون مع جوقة المرنمين نفسها، بَيْدَ أن الكهنة كانوا يتوجسون خيفة منَّا. ترجَّانا واحدٌ منهم، وهو قس كنيسة في إحدى ضواحي لينينجراد حيث كنا نرتل ألاَّ نتردد عليه مرة أخرى قائلاً: «أنا صاحب عائلة كبيرة وإن شُرِّدتُ فأولادي سيتضورون جوعاً». ولكن أخيراً بعد سنتين من تأسيس ندوتنا الثقافية الدينية وهبنا الله «أباً روحياً».

نحن الذين كنَّا بشراً متشردين لا مبدأ لهم منحصرين في أنفسنا جعل منا (هذا الأب الروحي) أُناساً من أهل الكنيسة (بيت الله). لقد كانت له موهبة النظرة الروحية العميقة لرؤية الصورة المثالية التي سيكون عليها كل واحدٍ من أبنائه، وموهبة أخرى أيضاً فائقة، وهي أن يعرف كيف يُعد النفوس لتتوافق مع هذا النموذج المثالي الذي يراه لها، دون أن يتكلَّف المحبة والحكمة. كان يرى في كلٍّ منا «أيقونة جميلة لله». وكل ما كان يتطلبه هو أن نوجد جديرين بهذا النصيب الأبدي وأن ننمو في الوعي به بقوة الإيمان، وفي هذا كان يضع ثقته التامة في الله الذي سيمنحنا أكثر مما نطلب أو نفتكر. إنه لم يقطع تقريباً بالحرم على أحد، بالرغم من أن هذا كان سهلاً عليه جداً إذ كنَّا نُكنُّ له كل توقير، وقد سلَّمناه قيادة حياتنا إلى أبعد الحدود. لم يكن الحرم إلاَّ آخر وسائله؛ أما الأولى فكانت: ذلك الجو الذي يعرف الأب الحكيم

(٤) أي التي تعمل في الخفاء بعيداً عن أعين الرُقباء والفضوليين والأعداء.

أن يخلقه حوله. فعدم نقض إحدى الوصايا لم يكن لديه هو الأمر الأساسي، وإنما الحقيقة الجوهرية هي: الخليقة الجديدة، بداية وغاية كل شيء.

كان هناك خجل واضح من الخطيئة التي فقدت نهائياً كل جاذبية، وبدت لنا الآن شيئاً دنيئاً، ووهماً باطلاً. وكان لاتصالاتنا بالآباء الروحيين سواء في المدن والضواحي والأرياف أو في الأديرة فضل كبير في جعلي دائماً أكتشف الحرية الحقّة(٥).

لا أذكر أبداً أنني أحسست بالنقص أو بتفاهة نفسي؛ بل في كل مرة حتى عندما كنت أُعنَّف بشدة منهم، كنت أتعزَّى للغاية بكلامهم. إن مجرد نظرة بسيطة للأب الروحي أو خاطر لذكراه يأتي في الذهن كان كفيلاً بأن يلاشي كل مشاكلي، وكم من مرات عديدة كانت تعتريني الدهشة من أجوبته الصائبة الشافية غير المتوقعة، وفي الحقيقة كل شيء في كنيستنا كان لدينا عجيباً وغير مُرتَقَب، وطالما أحببنا أن نردد مع المرتلين في «الخورس» هذا اللحن(٦): «مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده». بل قد تعودنا أن نشدو به بصوت منخفض أثناء سيرنا في الشارع عندما نتقابل مع الوجوه الجادة الكادحة التي لبعض المارة والتي يمكننا أن نلمح عليها نوراً مُمَيَّزاً لم يقدر العالم بعد أن يكتشفه.

---

(٥) هنا نترسم خطى المنهج السليم للتربية الروحية الذي يرجع في أصوله لآباء الرهبنة الأولى (في براري مصر): «إن اهتمام شيوخ البرية أن ينموا في تلاميذهم حياة روحية شخصية أصيلة؛ كان يعطي لتربيتهم طابعاً غير توجيهي (بصفة مباشرة) مميزاً جداً وباعثاً على الدهشة. إنهم وإذ تحرروا من كل روح للسيطرة، غير واضعين في الاعتبار مسيرة مثالية معينة للجماعة، غالباً ما كانوا يرفضون أن يفرضوا أي شيء ولم يكونوا يريدون ممارسة أي ضغط على نفوس مريديهم، بل كانوا يسعون فقط إلى استنهاض التجاوب الحر للمطالب الإلهية».

(٦) آية من سفر المزامير ٧٢ (٧١) يُنْشِدُها القارىء (في الكنيسة الروسية) وترددها جوقة المرتلين قبل قراءة الرسائل أو الإنجيل، وترتَّل بلحن كبير في عيد حلول الروح القدس، وفي عشية اليوم الثاني لعيد الميلاد، ولعيد القيامة.

الطبقة المثقفة والكنيسة

(في روسـيا)

— ٢ —

□✲●✲□

قبل مبارحتي روسيا إلى الغرب نفحني أبي الروحي بركته لدراسة اللاهوت. وكنت في ذلك الوقت مُخَيَّرةً بين: مغادرة الوطن أو الحبس المؤبد، وإذ كان يدرك تماماً أهمية معرفة كُنْه هذا العالم من خلال مسيحية مستنيرة ومُعَاشة قال لي: «لن تنتفعي بشيء من أن تبقي مُضَيَّقاً عليكِ في سجن، فأنت لم تؤهَّلي بعد لأن تصيري شهيدة، هاجري وادرسي العلوم اللاهوتية والآبائية»؛ وهذه النصيحة هي التي تضطرني على أن أُحقِّقها الآن (طالما أني مُسْتَبْعَدَة عن بلادي).

الراعي الحقيقي يبذل حياته عن خرافه، أما الكهنة الذين يستوعبون أبعاد الحياة الروحية والمستعدون أن يسيروا قُدُماً في طريق الأُبوَّة الروحية الحقيقية، أي على درب الشهادة والاستشهاد فهم ليسوا كثيرين اليوم في روسيا. والمعروفون منهم في كُبْرَيَات المدن يُعدَّوْن على أصابع اليد الواحدة. ولكن تتطلَّع إليهم أبصار الجميع ويتحدثون عنهم في كل أنحاء روسيا، ونحن نثق فيهم إلى أبعد الحدود ونحبهم ونكرمهم كرُسُلٍ لله هبطوا لنا من السماء، ولست أقدر أن أصفهم بأقل من هذا.

أما عن أبينا الروحي فقد كان لا يتحدث قط عن الأمور السياسية، بل كان

يتحاشى الخوض أيضاً في المسائل الاجتماعية، إلاَّ أنه كان يتكلَّم دائماً عمَّا هو أشد أهمية وأكثرها حقيقة وواقعية: التوبة وتجديد الحياة، وكيف يتسنى للكنيسة أن تكون فعلاً «نور العالم». كنا في حاجة مُلِحَّة تماماً لمثل هذه الموضوعات الحيوية لكي ندرك أن المطلب الأول والأساسي في حياتنا هو أن نجد ملكوت الله؛ أما المشاكل الأخرى التي تهمنا (كعلمانيين) فيمكننا أن نبتَّ فيها بأنفسنا كلٌ حسب حاجته، مثل تعاطي الكحول، التفكُّك الأُسَري، الإجهاض. هذه مواضيع حاولنا أن نناقشها نحن بأنفسنا ونُشرت بعد ذلكِ في مجلتنا النسائية — دون أن نطلب من أبينا الروحي أن يكلِّمنا خصيصاً عنها؛ لأن التطرُّق لمثل هذه الأمور من جانبه كان كفيلاً بأن يحرمه من أن يستمر في خدمة القداسات الإلهية وبقية الشعائر الدينية المنوطة به، ومن أن يبقى بيننا ليغذينا بكلمة أكثر ضرورة وأشد عمقاً، وهي تلك الصادرة من الروح القدس الذي يلهمه إياها ونحن في أشد الحاجة إليها وفي الوقت المناسب.

***

نعاود الحديث عن ندوتنا الثقافية الدينية. لقد أخرجت مجموعة من الرفقاء النشطاء الأكفَّاء... فبعد عامين من الدراسة المتواضعة البسيطة لتاريخ الكنيسة، استقر رأينا أن نتناول أيضاً بعضاً من مشاكلنا الراهنة. فقد تطرقنا إلى موضوعات هامة مثل: «المسيحية والثقافة»، «المسيحية والأخلاق»، «مسيحي اليوم»، «المسيحية والقومية» وإلى كثير من الموضوعات الأخرى...

كان يتردَّد على ندوتنا ليس فقط بعض المؤمنين، بل وأيضاً ذوو الشك والملحدون. وأما نحن فلم نكن نجبر أحداً على المجيء، ولم نحاول أن نقنع الزائرين بمعتقدنا أو بتحويل قلوبهم إلى الإيمان لأننا كنَّا على يقين تام أن الوقت يسير في صالحنا. وفعلاً، فإنه بعد خمس سنوات من قيام ندوتنا الثقافية الدينية التي كان منهج الدراسة فيها يسير بإلقاء المحاضرة من المتخصصين يتبعها المناقشة والحوار، تخلى تقريباً

كل اللادينيين منا عن إلحادهم بعد أن تعرَّفوا على الله عن اقتناع وخبرات واقعية، مع الآخرين ومعهم شخصياً.

لم نتمكن من أن نُعْلِن عن ندوتنا الثقافية الدينية بصراحة، ولكننا في الوقت نفسه لم نحاول أن نتكتَّم وجودها؛ وفي الحقيقة كان من المستحيل أن نضع ستاراً على اجتماعاتنا التي صار صيتها مُذاعاً في أرجاء المدينة كلها. البيت الذي كنا نعقد فيه حلقاتنا الدراسية بل شارع «كورلاند» الذي كنَّا فيه مراقبين بدقة شديدة ومحاطين بعربات بوليس أمن الدولة، الذين منهم مَن كانوا يحضرون متخفيين سرًّا في كل اجتماع ليتجسسوا علينا عن قرب، وهذا لم يكن يضايقنا أقل مضايقة، لأننا كنَّا قد تعوَّدنا على ذلك.

وكانت الطريقة الوحيدة للعمل طبيعياً دون أي توتر، بسبب مَن يراقبوننا على الدوام، هو ألاَّ نعمل حساباً لوجودهم (كأن نخاف أو نمالىء)، وألاَّ نبذل أي جهدٍ لمقاومتهم، وأن نتجنَّب المغالاة في الخوف منهم، وأن نحيا في بُعدٍ جديد خارج مجال مراقبتهم، أي أن نعيش إيجابياً مسيحيتنا، وبالتالي لا نعمل شيئاً سلبياً يستوجب القانون والمراقبة من جهتهم على حسب قول المزمور: «طوبى للرجل الذي لا يسلك طريق المنافقين.» (مز ١:١ — حسب النص المترجم)

كل مرة كانت تستدعيني مخابرات أمن الدولة للتحقيق والاستجواب كنت أتأكَّد أن هؤلاء الناس على علمٍ تام بكل شيء. لقد استبعدوا بعض الطلبة من معاهدهم العلمية لتردُّدهم على ندوتنا الدينية؛ بل قد اختلقوا لهم متاعب كثيرة أخرى. أما العائدون منا إلى الإيمان حديثاً، فقد بدأوا مسبقاً أن يزهدوا في كل راحة مادية، وكانوا مستعدين لتقبُّل كل ما يأتي عليهم.

مخافة الله قد حررتنا تماماً من كل خوفٍ من البشر، خاصة «أولئك الذين لا

يمكنهم أن يبيدوا إلاَّ الجسد»، أما الروح فلا قدرة لهم أن يمسوها بسوء.

معهدا العاصمة كانا في الواقع ظاهرة جديدة غير مألوفة، وتكرار مثل هذه الأندية الثقافية الدينية قد توقَّف ومُنِع منعاً باتاً منذ قيام الثورة. فالحوار بين الكنيسة والطبقة المثقفة قد بدأ في مستهل هذا القرن، في مباحثات ومناقشات شجاعة وكلٌّ من الفريقين عرض على الآخر مطالبه: أما الطبقة المثقفة فإذ كانت تَنْشُد الروحانية في كل شيء، أبَتْ أن تتخلى عن فكرها التقليدي من جهة الحرية؛ وكانت تحس بالانحصار وضيق الأفق في الكنيسة، إذ كانت الطبقة المثقفة تطمح في الإصلاح والتجديد، وكانت تتطلب من الكنيسة «أن تبادر بالتحرُّك» حتى يمكنها أن تضطلع بكل مسئوليتها، كما قال تيرناڤتسيڤ Ternavtsev في حديثه في الاجتماعات الفلسفية — الدينية في بطرسبرج في عام ١٩٠١م(١). وقد اتَّهم نفس المتحدث الكنيسة بقصورها الاجتماعي والسياسي فقال: «الكنيسة لم تتخلَّ عن الشعب في الأوقات العسيرة، ولكن إذ ظلت هي نفسها غير متدخلة في السلام الدولي، لم تعرف أن تعطي الناس الرجاء في المسيح ولا أن تقدِّم لهم يد المعونة والغوث في بؤسهم العاثر، الذي قد فهمته على أنه محنة مُرْسَلَة لنا من الله وعلينا أن نتحمَّلها. وهكذا فإن غياب المثال الأعلى الاجتماعي — الديني في الكنيسة كان هو العلة في تورُّطها».

---

(١) الاجتماعات الفلسفية الدينية التي عُقدت في بطرسبرج والتي بلغ عددها ٢٢ في ما بين عام ١٩٠١ و١٩٠٣. وكان يتبادل فيها الأراء ممثِّلون عن رجال الدين والطبقة المثقفة. وكان من الأعضاء العلمانيين البارزين في ذلك الوقت تيرناڤتسيڤ V. Ternavtsev، الذي كان ينادي بأن الكنيسة يجب أن تضع نفسها في خدمة المجتمع، وأن تقوم بدور فعلي في الأحداث السياسية الجارية في عصره. وقد نوقشت في ذلك الحين بعض العقائد الدينية والمذهبية. ولكن إذ أثارت هذه الاجتماعات الشبهات في نظر السلطات أوقفتها، إلا أنها عادت أخيراً، وإنما بطريقة غير رسمية.

ولكن ماذا نقول عن الكنيسة الروسية اليوم، سجينة دولة المبادىء الإلحادية الطاغية التي لا تعرف الرحمة، والتي يُحكم عليها ظلماً دون أن تُعْطَى أيَّ فرصة للدفاع عن نفسها. وماذا نقول عن الحياة الدينية التي أُجْبرت بالقانون أن تكون قاصرة على مجرد «الممارسات الطقسية»، وفي حدود ضيقة جداً؟

ومع هذا نحن لا نتطلب من الكنيسة، نشاطاً سياسياً، ولا حكماً أو نقداً لأوضاع اجتماعية خاطئة، ولكن تغييراً قلبياً كاملاً للحياة. هذا التجديد الداخلي يعيشه اليوم في روسيا العائدون للإيمان حديثاً عندما اكتشفوا سر بداية الطريق: «اطلبوا أولاً ملكوت الله».

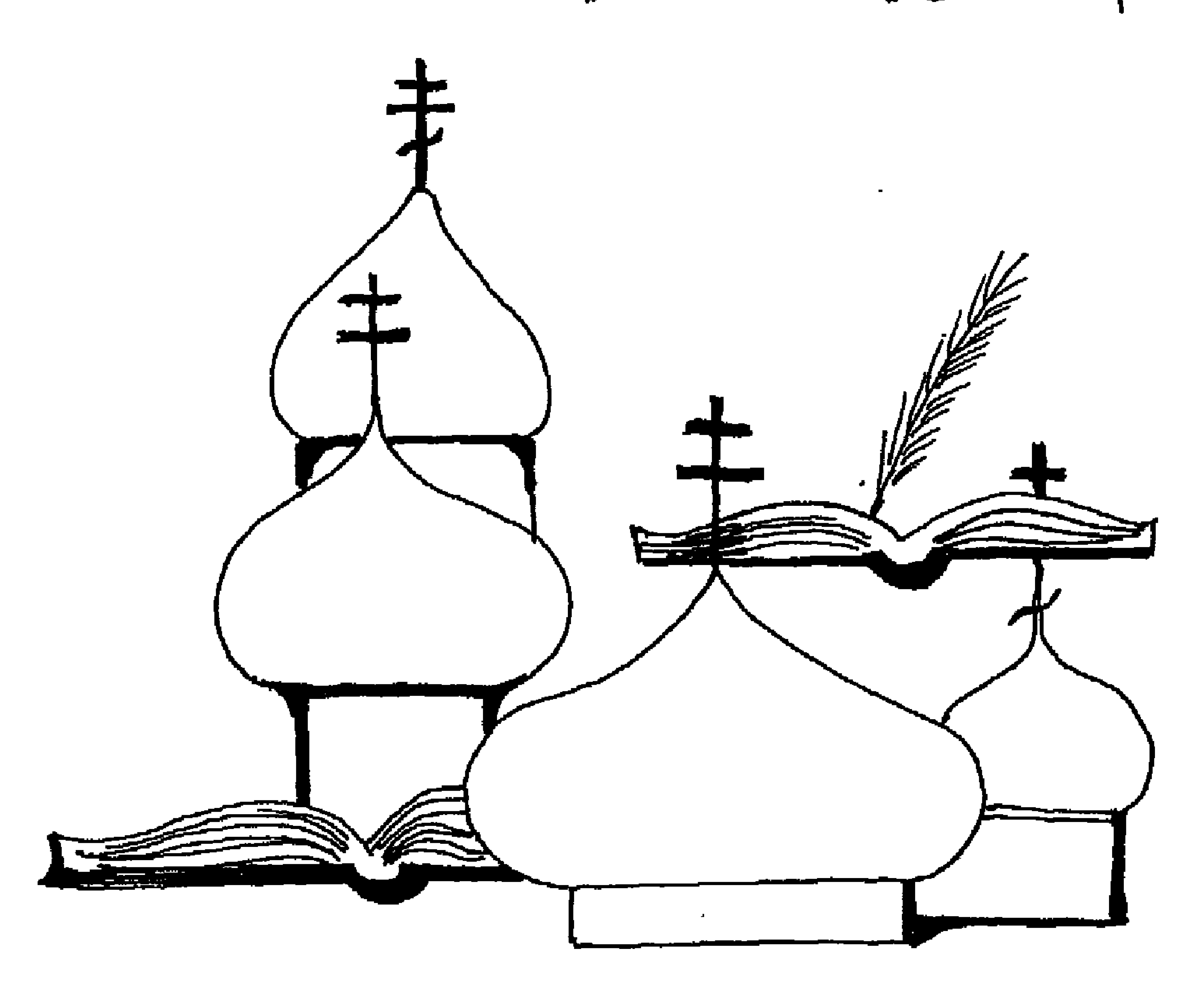
في وسط عالمنا هذا الذي استنزف دَمَه وجفَّت عروق الحياة فيه تظل الكنيسة هي المكان الوحيد الطاهر الذي لا عيب فيه وستبقى بالحق مقدسة إلى الأبد ولن يتيسر للموت قط أن يتمكن منها.

بعد معاناة آلام طويلة مضنية تُقْبِلُ الآن الطبقة المثقفة على الكنيسة. لا يوجد وقتٌ بعد للمجادلة والمشاحنة؛ الطريق المؤدي إلى الحياة ضيِّقٌ وشاق، ذلك هو طريق الطاعة والتخلي عن كل معرفة بشرية وكل أفكار ذاتية.

الطبقة المثقفة التي انحرفت سابقاً عن جادة الصواب روحياً بل وطبيعياً أيضاً، تعود اليوم فتولد من جديد، وفي خَوَر ضعفها الذي يقودها إلى سر التوبة وتجديد الحياة تنكشف أمامها الرؤية الواضحة للتدبير الإلهي. والمسائل التي أُثيرت في مطلع هذا القرن: الكنيسة والثقافة، المسيرة التاريخية والكنيسة... إلخ. وسيعود الحديث عنها بلا شك من جديد وفي المستقبل القريب، ولكن دون تنافس أو تسابق في أخذ حق الأولوية لطرفٍ على الآخر؛ بل الكل سيجتاز امتحان الصليب الذي لا بدَّ منه، وسيُفْحص بتوبة جادة دون ارتداد ودون ما مباحثات أو مطالبة بحقوق أو

احتياجات.

وإذا كان المؤمنون حديثاً في هذه الأيام يثقون في الكنيسة كأبناء لها فلأنهم وجدوا فيها الخلاص والحياة؛ ولأنهم قد اختبروا سابقاً الحياة في خوائها وهي بدون الله. هذا الإيمان الطفولي كان ينقص — في غالب الظن — طبقة المتعلّمين المتدينين في بداية هذا القرن. فقد كانوا بلا ريب تعوزهم البساطة إذ كانوا يعتمدون على علمهم ومعرفتهم أكثر مما على إلهام الروح النابع من توبة حقيقية. أما الطبقة المثقفة الروسية في أيامنا هذه فقد بدأت تنأى عن مذهب «الفردية المطلقة» وتنزل إلى «البساطة» وتقترب أكثر فأكثر إلى عامة الشعب. وهذا أملٌ كان يتطلّع إليه الكاتب الروسي الكبير دوستُويِفْسكي ويبدو أنَّ قوله المأثور بدأ يتحقَّق: «يا للقوة التي ستكون لنا عندما تجد الطبقة المثقفة السبيل إلى الأُلفة الروحية مع عامة الشعب». اليوم في روسيا يتم هذا التقابل في رحاب الكنيسة بين الطبقة المثقفة وعامة الشعب.





رسالة إلى صديقة في الغرب
الاهتداء إلى الإيمان
وماذا يعني؟

●☆●☆●

تسألينني ماذا يعني اهتدائي إلى الإيمان؟ ماذا اكتشفت من خلاله، وما هو التغير الذي طرأ على حياتي؟

إجابتي بوضوح واختصار: كل شيء فيَّ وحولي قد تغيَّر تغييراً صميمياً، وهذا ليس إلاَّ باكتشاف الله. لقد بدأت أن أحيا الحياة الحقيقية.

أنتِ يا مَن نشأتِ في فرنسا، ليس من السهل عليكِ أن تكوني على وعي تام بظروف الحياة عندنا. فأنتِ قد أتيتِ إلى الوجود في عالم التقاليد، والقوانين، والمبادىء، حتى ولو لم تكن هذه مستقرة كما ينبغي. أنتِ نَمَوْتِ طبيعياً، تقرأين ما تتمنين من كتب، تختارين ما تريدين من أصدقاء أو عمل، لكِ الحرية أن تنطلقي إلى أي بلدٍ شئتِ أو تكوِّنين أسرة مع تحمُّل بعض أعبائها الطفيفة، تذهبين إلى دير أو تتكرسين للمعرفة والبحث كما ترغبين. أما أنا التي وُلدتُ في ديار قد أُبيدت فيها عن عمد وبنجاح بالغ كل القيم الدينية، فكنت آتية من العدم ومنحدرة إليه مرة أخرى لا محالة... كنت أعيش كحيوان برّي صغير أسير أسلاك حديدية؛ أُطاطىء الرأس وأخضع دون أن أحاول الفهم أو أن أبتَّ في أمرٍ ما؛ وفي موضوعاتي الإنشائية المدرسية

كنت أكتب – كما أُلزِمتُ – أنني أحب لينين، وأمي. ولكن هذا كان بهتاناً صارخاً. فمنذ طفولتي كنت أمقت الناس الذين حولي إلى حد الإشمئزاز بسبب رُغْبهم لي وانشغالاتهم التافهة. كنت أبغض والديَّ اللذين لم يتميزا عن الآخرين بشيء – في نظري – سوى أنهما صارا والديَّ بمحض الصدفة.

ويا لهول التفكير المتطرف الذي كان يساورني بأنه قد أُلقي بي في العالم دون ما غاية بواسطة قوى غير عاقلة! كنت أَمْقِتُ كل شيء حتى الطبيعة نفسها، للتكرار الدائم لظواهرها وتتابع فصولها المُمِل. لم أحب سوى العزلة التامة. وكانت أشهى اللحظات عندي تبدأ عندما كان والداي يذهبان إلى جهة ما للزيارة، وكنت أبقى وحدي في غرفتنا الصغيرة. وحينئذٍ كنت أتأمل في أسرار الكون الغامضة، وفي شيء ما لانهائي. بعد ذلك عندما تعلمت القراءة كنت أختلي بنفسي أكثر، مبتعدة عن الناس بسبب شغفي ونهمي للمعرفة، ففي وقت النزهة أو وجبة الطعام أو الاستراحة كانت عيناي تحدقان دائماً في كتاب ما. وكان الأبطال البواسل الأحرار الذين لا يُقْهَرون الذين كنت أقرأ عنهم أو لهم في القصص والروايات، لا يخضعون – في تصوري – للفناء كبقية الناس، فأضحوا في نظري المثال الأعلى للكمال. ولكن كان يبدو لي أيضاً أن مثل هؤلاء الأشخاص لا يوجدون إلاَّ في الكتب، ولم يكن في الإمكان، بحسب مشاعري في هذه المرحلة، أن يحيا الإنسان دون ما خوف من أن يُساء اليه، أو يُخْدَع أو يُسْلَب أو يُفْتَرى عليه، إلاَّ في عالم الكتب وحدها.

أما المسيحية فكانت بالنسبة لي ليس لها وجود في حياتي على الإطلاق إلى وقت طويل عندما كنت ما أزال بعد وجودية ملحدة ذهنياً عادمة الإحساس الوجداني أو الروحي. فكان التدين في نظري هو عودة إلى الأساطير القديمة؛ بل لقد تحوَّلت حياتي أكثر فأكثر إلى عبادة الذات والتمرد على كل شيء. وانتحلت مذهب نيتشة بأن أدَّعي لنفسي «أرستقراطية الروح»، والإنسان المثالي «القوي» هو في نظري القادر على أن

يسيطر على حياته بمحض إرادته الحرة الحاسمة. أما غالبية الناس «الضعفاء» فهم لا يقدرون أن يحتملوا تحدي العدم لذلك فهم يهربون من استحالة وجودهم بالاحتماء في الأسرة، أو في السياسة، أو في النجاح الاجتماعي. ولكن كم مقتُّ كل هذه الأوهام، وكم عرفت «العبودية»، لكي أسعى وراء ملذات زائفة سيئة للغاية، تلك التي يتعلق بها ويستعبد لها كثرة من هؤلاء الرجال والنساء الذين كنت أنا نفسي أتعالى عليهم واحتقرهم.

كنت أتوق إلى وجود متكامل الحرية. وعندما وجدت ذاتي فيلسوفة، بدأت أكفُّ عن أن أخدع الآخرين ونفسي. ومنذ هذا الحين كنت أضع الحقيقة نظرياً فوق كل اعتبار، الحقيقة المرة، المرعبة والمحزنة. ومع هذا ظلت حياتي تتمزق، وتتصارع فيها المتناقضات. كنت أستعذب المتضادات وغير المعقولات، وتبدلات المواقف. كان هذا هو بداءة طور تكويني الأدبي والفني. فكنت بالنهار أحظى بأن أكون الطالبة اللامعة وفخر كلية الفلسفة، وأتردد على كبار المفكرين في الأدب والفن، وأُلقي المحاضرات المبسَّطة في هذا المجال. أما الليل فكنت أقضيه مع أحط رفقاء السوء المنبوذين من المجتمع، والذين كانوا لا يتورعون عن الاحتيال والسطو والسرقة كلما سنحت لهم الفرصة، لكي يتعاطوا ما اعتادوا عليه من مُسْكِرات. وكنا نبحث عن الأماكن الخفية عن أعين الناس لنحتسي ما طالته أيدينا من خمر. وكان يحدث أحياناً أن نسطو على مسكنٍ ما على سبيل اللهو لمجرد أن نستمتع بشرب بعضٍ من القهوة، ثم نولي الأدبار!!

معلمي الأول:

إنسان وحيد هو الذي حاول مرة أن يوقفني عند حدّي ولكي أكفّ عن مثل هذا السلوك الماجن، إنسان يمكنني أن ألقّبه بحق مُعَلمي الأول: هو أستاذنا بوريس ميخائيلوفيتش پارامونوف **Boris Mikhaïlovitch Paramonov** . علَّم بعضاً من

الوقت في كلية الفلسفة، ولكنه لم يتمكن من أن يستمر في منصبه، وانتهى به الأمر إلى الهجرة. وهو يعيش الآن في الولايات المتحدة.

قال لي يوماً ما: «تانيا Tania! لماذا تبتغين أن تهدمي كل شيء؟ ألا تفهمين أن التعطُّش إلى التدمير هو أسوأ نكبة مُنِيَ بها الضمير الروسي في عصرنا هذا (منذ قيام الثورة الإلحادية حتى الآن: أي حتى أوائل السبعينات)؟ ألا ترين أننا نحيا في عالم يسود فيه إنكار كل دين ويفتخر على لا شيء؟... ماذا تريدين أن تزيدي على ما نحن عليه؟».

كان لصدى هذا الكلام وقع كبير في نفسي. ولكن لا پارامونوف ولا أنا كنا نعرف حينذاك أن نخرج من هذه الدائرة السحرية، وكيف يَضْحَى المرء لا هدَّاماً بل بنَّاءً.

لم أجد الجواب الشافي، لا في فلسفة الغرب، ولا في حكمة الشرق أيضاً. واليوجا التي مارستها بعد نهاية دراساتي جعلتني أكتشف عالم «المطلق: غير المحدود»، وقد فتحت حسب إحساسي الداخلي، فتحت أمامي مجال البُعد الرأسي للوجود، وهدمت كبريائي وتشامخي العقلي، ولكن دون أن تحررني من ذاتي. سبق أن استقيت الكثير من الثقافة بعمق شديد عالمة أن هناك قدرات هائلة غير معروفة بعد كامنة في الإنسان.

بدأت أتعلم شيئاً فشيئاً أن أستفيد بهذه «الطاقات» السرية التي اكتشفتها. كانت اليوجا متوافقة معي لأنها كانت تجيد استخدام هذه «القوى» لتستفيد منها مادياً أو نفسياً وبتداريب معروفة للكل دون استخدام أي نوع من «الخداع». لقد صارت لنا، نحن غير المؤمنين، بمثابة جسرٍ صغيرٍ بين عالم الخبرة والتجربة المحسوسة، وبين عالم الحقائق اللامادية الفائقة لكل حدود المكان والزمان. جانبها العملي قد

نسّق تفكيرنا جيداً، إذ أنه مكّننا من الحصول على قدرات تفوق إمكانيات البشر العاديين بطريقة معقولة ومحسوبة، فبمساعدة التمرينات العضلية الشاقة والتدريبات الذهنية أمكن لي اكتساب معرفة متسعة أكيدة لأبعاد «عالم الأرواح»، والنفس البشرية، وبعض الحقائق الأخرى. فماذا كُنّا نهدف من وراء هذه المعرفة وما الذي أردنا أن نجتنيه منها؟ كان لكل مِنّا إجابته الخاصة. أما عن نفسي فقد أردت أن أبلغ إلى مستوى القمة في كل شيء: أن أكون الأكثر ذكاء، والأشد قوة؛ بل ويضاف إلى هذا، الطموح في الوصول إلى آخر ما ترمي إليه بعض المذاهب الدينية، حيث كانت تحدوني الرغبة في أن يذوب كياني في «الكائن المطلق (اللامحدود)»، وأن أستغرق في بحر الطوبانية (السعادة غير الحسية الغامرة) الأبدية اللانهائي. كنت أقاوم بقوة واستماتة أحوالي النفسية السلبية مثل: البغضة وسرعة الغضب... عالمة أن هذه كفيلة بأن تنزع مني الطاقة الروحية الكامنة فيَّ وترميني في أدنى مستوى. ولكن رغم كل محاولاتى صار الفراغ القاتل الذي كنت أُعاني منه منذ أمدٍ طويل باقياً على ما هو، ولم يَسُدَّه شيء؛ بل على النقيض كان في ازدياد مُطَّرَد، وتحوَّل إلى رعبة داخلية رهيبة ملأتني بفزع بلغ بي إلى حدود الجنون.

ثم استولى عليَّ حزنٌ مفرط، وكانت تعذبني مخاوف مبهمة، وتداهمني الكآبة المصحوبة باليأس الشديد. وكنت أعتقد أنني فقدت العقل. وأمسيت لا بُغْيَة لي بعدُ في الحياة.

كم من أصحاب سابقين لي راحوا ضحية هذا الفراغ المرعب؛ فبعضهم قد انتحر، ومنهم مَن أسلم نفسه لشرب المُسْكِرات حتى فقدان الوعي، وكم منهم أُغلق عليه في مصحات الأمراض العقلية. ولاح أننا قد فقدنا كل رجاء في الحياة.

أما الروح القدس، فهو يهبُّ حيث يشاء، وهو يخلق الحياة، ويمنحها القيامة.

• ماذا أصبحت بالتالي؟ صار لي ميلاد «من فوق»، ميلادي الجديد أو الحقيقي وهاكم ما حدث:

قصة ميلادي الجديد:

لمّا أجهدتُ حتى فقدت كلّ قواي أثناء ممارستي لتدريبات اليوجا القاسية، ولم أكن قد اختبرت الصلاة من قبل؛ بل إنني لم أحفظ أي صلاة قط، وجدت أن كُتُب التدريب على اليوجا تقترح عليّ ممارسة تدريب ذهني بتلاوة الصلاة الربانية (أبانا الذي...)!! فأخذت في تطبيق التدريب الذهني دون أن ينشغل ذهني بمعاني الكلمات، أي كنت أتلوها بطريقة آلية. فلما تلوتها حوالي ست مرات، فجأة صرت كمَن عاد إلى صوابه وامتلك وَعْيَهُ. فقد أحسست أنه (أي الله) كائن، وهو قريب مني، ولم يكن هذا الإحساس يغمرني نتيجة منطق عقلي القاصر؛ بل بكل كياني، إنه هو الرب الحي بشخصه الذي يحبني ويحب كل الخليقة، إنه «الله» الذي خلق العالم، وتجسد في شبه الناس بسبب حبه. الرب المصلوب، القائم من بين الأموات. في لحظة واحدة استُعْلِنَ لي عمق أسرار المسيحية، الحياة الحقَّة، وموضعي في هذه الحياة. حقاً لقد ذُقت أول طعم للخلاص.

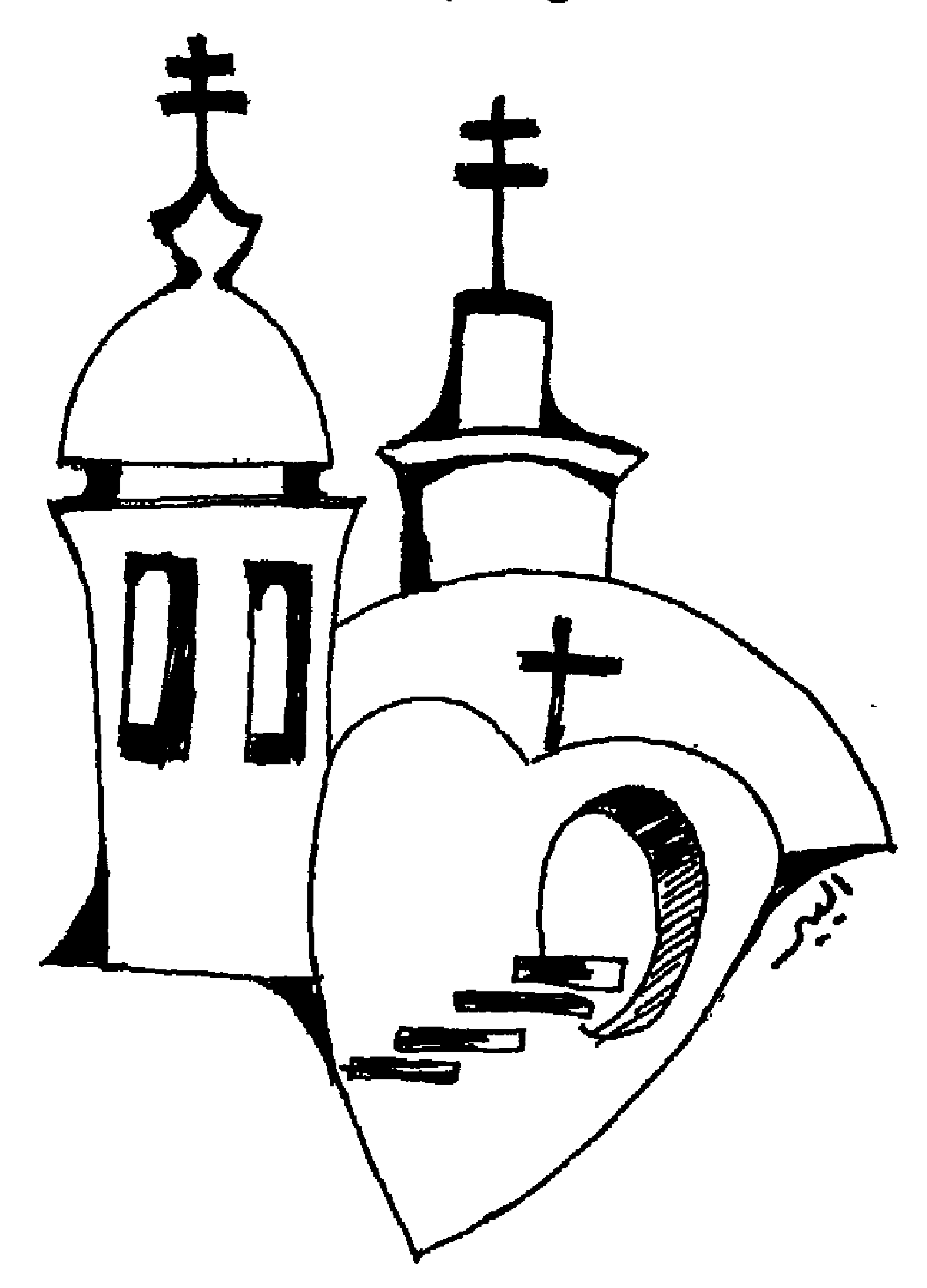
كل ما فيَّ تغيَّر، أحسست بأنه قد مات الإنسان العتيق. ولم ألفظ فقط كل ما كان ثميناً لديَّ، حتى مُثُلي العُلْيَا، وإنما صرت كمَن فارقته عاداته القديمة وخصائص سلوكه.

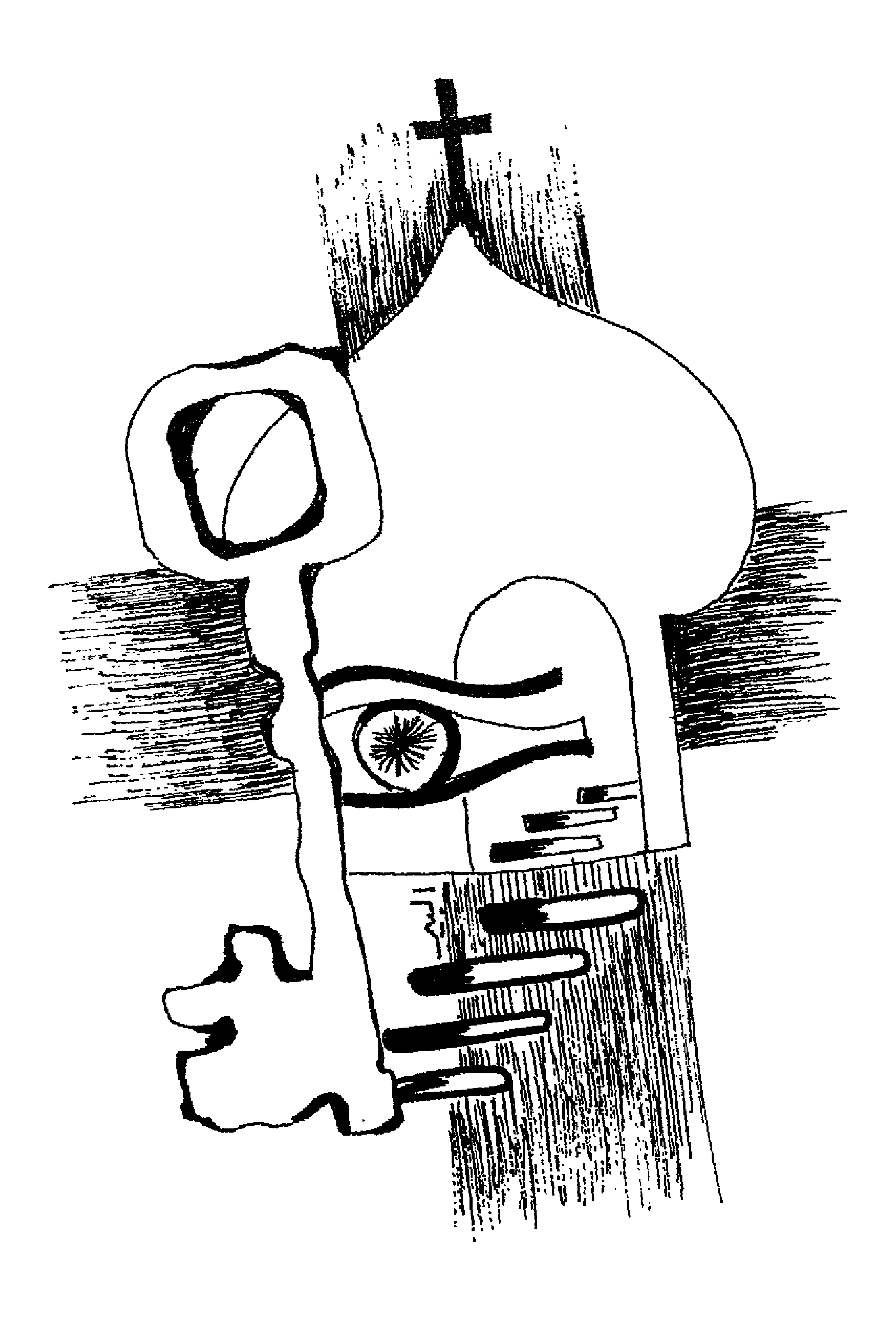
وأخيراً انفتح قلبي وأخذت أحب كل الناس، أتفهم آلامهم، ومشيئة الله في حياة كلٍّ منهم، وأرى صورة الله منطبعة فيهم.

في الأيام الأولى لتحولي إلى الإيمان كان يبدو لي أن كلَّ الناس خليقة سماوية: كنت أسارع إلى فعل الخير لأخدم الله والناس.

ما أعظم السعادة التي غمرتني، والاستنارة التي ملأت قلبي!
حتى العالم الخارجي، كل حصاة، وكل نبتةٍ ازدانت في نظري بلباس يشع بهاء.
كل ذرَّةٍ كنت أرى فيها حضور المسيح بميلاده وتقديمه إلى الهيكل طفلاً!!!
الكون هو لباس الرب الملوكي. فكيف لم أدرك هذا قبلاً؟

هذا هو مبتدأ الحياة بالنسبة لي. فهل ترين الآن كيف تمم الرب خلاصي عياناً وحقاً. فكان هذا ليس فقط غير متوقع؛ بل ومنتظَراً أيضاً في آن واحد منذ زمن بعيد. الروح القدس وحده هو الذي تممه بقدرته الإلهية، إذ أنه انتزع من الهلاك «الخليقة الجديدة» مصالحاً إياها مع الأبدية. فيه وحده بالنعمة ينفك التضاد الجذري للإنسان، التضاد بين الحرية والخضوع التام لله.





يومياتى في دير للراهبات

— ١ —

□●□●□

١٨ يناير ١٩٧٩

«المسيح شاهدٌ على ما أقول يا أخي الحبيب في الرب». بعد أن عدت من السهرة في الكنيسة، قضيت اليوم كلّه في تدوين اعترافاتى، وها قد كتبت ثماني صفحات وما هذه إلا نصفها. فهنا فقط، في الهدوء العميق الذي للدير، وفي حماية والدة الإله، قدرت أن أستعيد بالتفصيل رؤية حياتى الماضية وأن أمتلك زمام نفسي لأكتب خبراتى من أجل المنفعة الروحية العامة.

خدمة القداس بالدير هي صلاة فريدة من نوعها، ولم يُعْطَ للكل القدرة على احتمالها. فهي في نظر ضعفنا البشري لا شفقة فيها وليس فيها طريق وسط (أي الإختصار)، لا في الصلاة ولا في العطاء القلبي، ولا في تقديم الوقار اللائق.

ينبغي على الإنسان في هذا المجال أن يلقي عنه كل تكاسل وكل إشفاق على الجسد، ويُلْزِم نفسه دائماً بالوقوف الجاد بلا أي ارتخاء؛ ودون أن يدري كيف، سوف يجد في كيانه قوة روحانية تُنسيه عدد الساعات التي تمر، إن كانت ثلاثاً أو خمساً أو حتى ثماني ساعات!

اليوم اتخذت مكاني، ودونما وعي مني، في الجانب الأيمن بالكنيسة. وهذا كان

مُخصَّصاً لعشرات الراهبات، ففجأة رأيت نفسي مُحاطة بهن، فلم أجد فرصة لأن أفلت من وسطهن. كُنَّ يسجدن بوقار عميق، وكان في سجودهن نعمة خاصة تفوق التعبير، وكانت حركاتهن التعبُّدية الخشوعية تتوافق على وجه مُبْدِع مع نغمات الراهبات اللاتى كان يتكون منهن «خُورس» الترتيل بالدير.

كلمة موجزة عن الدير:

منذ ثلاثمئة عام خلت، عثر رعاة من استونيا على أيقونة لنياحة السيدة العذراء، هناك حيث تنبع الآن عين ماء. وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهر دير راهبات «بيوختيتسكويا Piouchtitskoya » . وهكذا قام هيكل للرب في وسط هذا السهل والمستنقعات كقصر منيف لأحد الأمراء. وقد اعترفت السلطات الحاكمة نفسها آنذاك بأن كنيسة النياحة هذه تمثل فناً معمارياً رائعاً.

كانت صلاة الغروب تقام في الدير يومياً بصفة منتظمة، وفيها كان يشترك زائرون مُقْبِلون من جهات متعددة. وإذ كانوا يقفون بعدد كبير متراصين أمام المدخل كانوا يترقبون بعيون مفتوحة عن آخرها ومنذهلة إلى كل حركة تعبدية أو إشارة ليتابعوا خدمة الصلاة بدقة؛ لأن هذه الزيارة كانت لكثيرين منهم أول زيارة لبيت الرب. وقد قالت لي الأم مَاريَّا: «إن مجرد زيارة واحدة للكنيسة كانت كفيلة بأن تقود عديداً من النفوس إلى الإيمان» !!

وهذا ما حدث مع زكّا (أحد الزوار) الذي صار الآن ذا إيمان عميق؛ فقد كانت زيارته الأولى للكنيسة منذ ثلاث سنوات، وبعدها مباشرة تحوَّل من الإلحاد إلى المسيحية.

٢١ يناير ١٩٧٩م

تناولت القلم هذا المساء وشرعت، مدفوعة بغيرة حارَّة، أن أكتب عن بعض

الموضوعات بشيء من التفصيل. فقد رأيت بجانبي — أثناء وقوفي في الكنيسة اليوم — سيدتين مُسنَّتين. كان يبدو لي أنهما لا تعملان شيئاً سوى أن تُصَلِّيا دائماً. كانت الأم ماريا هي المنارة التي كانت تُضيء لنا الطريق؛ وجاءت هاتان لأخذ بركتها ثم لحضور خدمة الصلاة التي كانت تستغرق خمس ساعات، ابتداءً من السَّحَر (أي بعد الرابعة صباحاً تقريباً) وحتى التاسعة.

الأم ماريا، في الواقع، هي نبع حب حقيقي لا ينضب، كانت تحيِّينا دائماً محتضنة إيَّانا وصارخة بحرارة: «أخواتي، كم هو طيب أن نراكن آتيات إلى المسيح». وكانت تهتف بالفرح، وكأننا قد وُلِدْنا لله (الولادة الجديدة) في نفس هذا الصباح.

حتى الأطفال هنا (المترددون على الدير مع والديهم)، رأيتهم غاية في الحُسْن الباهر والهدوء الرزين. فلم أعتقد أنه يوجد صغار على الأرض بمثل هذه الطفلة «أنطونينا» التي لها من العمر خمس سنوات. فقد جاءت عائلتها بصحبة كاهن من إحدى القرى تبعد بضع أميال عن الدير. في هذه الطفلة الصغيرة لم يكن أثر قط للإعتداد الطفولي بالنفس ولا للتصرفات الهوائية التي يأتيها من هم في مثل سنها. كان يبدو عليها دائماً الرزانة، وحبها لله كان شديداً، حتى إنها تفيض به على كل مَن حولها بإحساس يقيني لا يُقهَر.

في إحدى الأمسيات جلسنا لتناول الشاي دون أن نتلو «الصلاة الربانية»، فقامت «أنطونينا» وبعد أن نبهتنا إلى ضرورة تلاوة الصلاة الربانية، أخذت هي نفسها ترددها، وبعدها تلت «السلام المريمي». ثم بدأت تشدو لحن عيد الظهور الإلهي المعروف بصعوبته (حتى لدى الكبار): «يا مَن اعتمدت في الأردن، أيها المسيح إلهنا...».

ومـاذا أقول عن نفسي أنا التي كنت أحس بشدة في أعماق قلبي أنني مجرد إنسانة دنياوية.

ولـو لم يكـن ربـنـا إلهـاً يقيم الموتى، لكنت الآن واقعة في اليأس القاتم. فكل ما كنـت أمتـلكـه مـن معرفة، لم يكن يتعدى مستوى طفولة هذا العالم، سواء من جهة الأمور الصغيرة أو الكبيرة.

والبرهان على ذلك عندما ندخل قاعة أكل، ونجد أناساً جالسين على المائدة، فقد اعـتـدت أن أتـوقـف مـتـحـيـرة: «مـاذا أقـول؟ بالهناء والصحة؟ ولكنهم في الدير لا يستخدمون هذا التعبير العالمي، وإنما يستبدلونه بكل بساطة بقولهم: «ليصحبْكَ ملاكٌ إلى المـائـدة». وبـدلاً من أن يقولوا: «شكراً» يجيبون بقولهم: «نجّاك الله» وفي آخر النهـار، كان كل واحد يطلب الصفح من الآخر بالتبادل. فكيف كان يتسنى لي أن أعرف هذه الأمور مهما كانت بساطتها، دون أن يعلّمني إياها أحدٌ؟

قـال لي الأب جوان: «يـنـبـغـي لي أن أعـدَّ نفسي لهذه المسيرة الطويلة». والآن أحس أنني سعيدة للغاية بأن أجد نفسي في بداية الطريق.

طـول الـيـوم اعتدت أن أقرأ في سفر المزامير بحسب نصيحة الأم ماريا التي بعد أن تُوفّـي والـدهـا مباشرة تعهدت أن تتلو المزامير كلها كل يوم، وعلى مدى أربعين يوماً. ولكن لأن عندها مهاماً كثيرة أخرى، حمّلتني أنا مسئولية إيفاء هذا النذر نيابة عنها.

وهـا أنـا في قـلايتها أقف أمام أيقونة والدة الإله، أَلْهج في هذه الأناشيد الخالدة. وهـذه هي المرة الأولى التي أجد نفسي فيها في صَوْمَعَةٍ رهبانية: حجرة منعزلة لا يتعدى مساحتها الستة أمتار، بها سرير ومنضدة صغيرة، ولكن الانطباع الغالب هو أن القلاية لا تحوي شيـئـاً سـوى الأيـقـونـات التي تـغـطـي جدرانها؛ ولم يكن فيها أي شيء من

الترف. ومع هذا يحس فيها المرء بالدفء الروحي وصميم المحبة النابعة من صاحبتها تجاه الله ولقديسيه الذين تمثلهم الأيقونات.

فوق السرير عُلِّق على الحائط قطعة من النسيج المُطرَّز ذات ألوان لامعة جذَّابة. في هذا الأسلوب من الرسم نجد صورة تمثِّل قبراً بجانبه راهب وبالقرب منه ملاك مسلَّح بمنجل يعبِّر عن الموت وقد سُجِّلت على القبر هذه الكتابة: «لا أحدٌ يفلتُ منه».

بدأت أشعر بالإعياء الشديد مع مرور الوقت. وما أن جلست لأقرأ وأتخذ وضعاً مريحاً بعض الشيء، بوضع ساق على الأخرى، حتى اعتراني الخجل والمخافة عندما تطلعتُ إلى الأيقونات المعلقة على الحوائط، وأحسست وكأن نظرات المخلِّص ووالدة الإله والقديسين تتجه كلها نحوي.

إنها في الواقع هِبَة أخرى قد منحني إيَّاها الرب في هذا المكان: «الدالَّة والجرأة (التي للبنين)»(١). هنا أعددت، وبلا صعوبة، مقالة مسهبة عن الفلسفة، ولكن دونما وَجلٍ من الرجوع إلى أفكاري السابقة أو حياتي الماضية. في الحقيقة بعد تحوُّلي إلى الإيمان مباشرة، بدأت أتحرر من نشاطاتي الأدبية والفلسفية التي كانت تبدو لي أنها تُنَاقِض الزهد الروحي الحقيقي. وكان هناك عِلَّة أخرى لخوفي المُبْهَم هذا. إن

(١) يقول الأب سلوان (أحد القديسين الروس في العصر الحديث):

[حالة النفس التي إذ يُرفع منها خجل عُرْي الخطيئة وتُلْبَس من جديد نعمة حُلَّة بنويَّتها الملكية، تستطيع حينئذٍ أن تتكلم مع الله بدالة داعية إياه: «يا أبَا الآب».

هذه الدالة هي ثمرة استعلان محبة الله للإنسان بالروح القدس، والتي من خلالها تتجلى لنا أيضاً حقيقة العالم الذي أحبَّه الله. أما إذا أبغضنا أو دِنَّا أخانا، فستظلِّمُ روحنا، ونفقد السلام والدالة اللذين لنا أمام الله].

عملي الأدبي كان يشوبه دائماً وقبل دخولي للإيمان حب التظاهر وإرضاء الذات. أما هنا فإني أكتب بخلوص النية وبتلقائية سهلة، دون التفكُّر في نفسي: فها الكلام ينساب على الورقة دون أدنى عناء أو أي تلفيق خادع مضاد(٢).

لقد تبين لي بوضوح تام أنه لو تصدرت الصلاة من أجل حياتنا الروحية كل أعمالنا، لمنحنا الرب تلك الأمور الأخرى اللازمة لحياتنا حتى دون أن نسأل: «اطلبوا أولاً ملكوت السموات والباقي سيُعطى لكم ويُزاد».

بمقدار نمو صلاتي للخالق بمقدار ما كان ينمو حُبي للخليقة. إنه لأمر مُسْتَغرَب أن الصلاة لا تفصلنا عن العالم أو تبعدنا عنه وإنما تجعلنا أن نكتشف عالماً مجدَّداً متجلياً.

وهنا أيضاً وجدت اكتشافاً آخراً: «الوقت». لقد سمعت بعض المسيحيين يقولون: إن الوقت لم يسعفهم حتى لكي يتمموا مهامهم الضرورية، ولا أقول الصلاة. ومثل هذا القول لا يَدَّعيه إلا الإنسان الذي لم يختبر بعد حقيقة العالم العلوي كعَالَمٍ حيٍّ قائم بذاته. الإنسان الذي لا يعدو كلام الإنجيل لديه من أن يكون مجرد كلام، هو إنسان يظل قابعاً في نفسه محصوراً بالمادة تماماً. لأن لدى الإنسان المادي لا وجود للزمن نفسه؛ بل عنده ما يمكن أن يسمى بـ«العدم الأبدي». وبينا هو ينهمك بمئات الأمور، تراه يحجم عن الصلاة، فيبقى بعيداً عن الحياة المسيحية الحقيقية؛ بل ويصير أسير أعمال لا يوحي بها إلا إبليس.

---

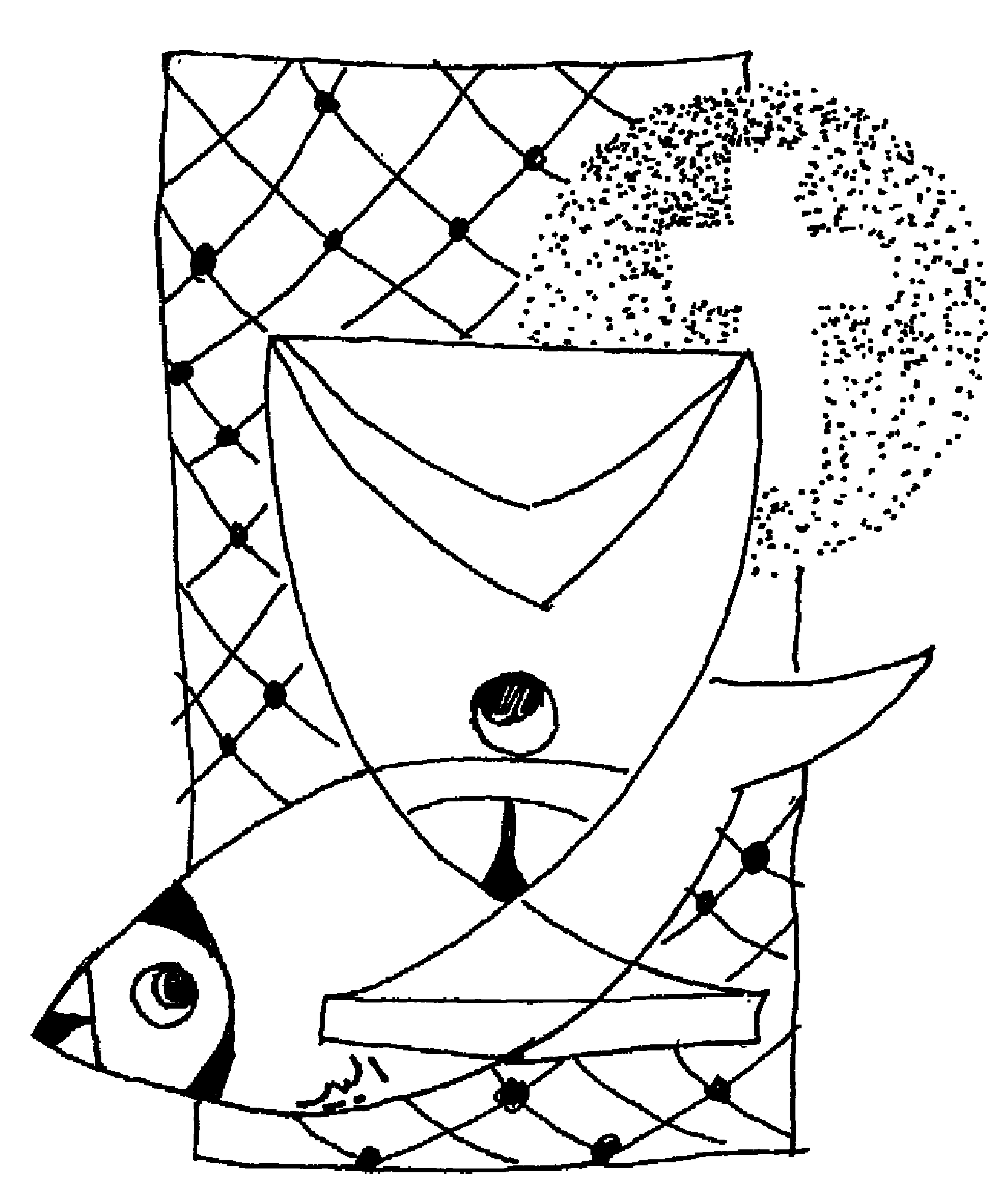
(٢) في أحد ألحان الكنيسة البيزنطية تناجي الكنيسة الروح القدس هكذا:

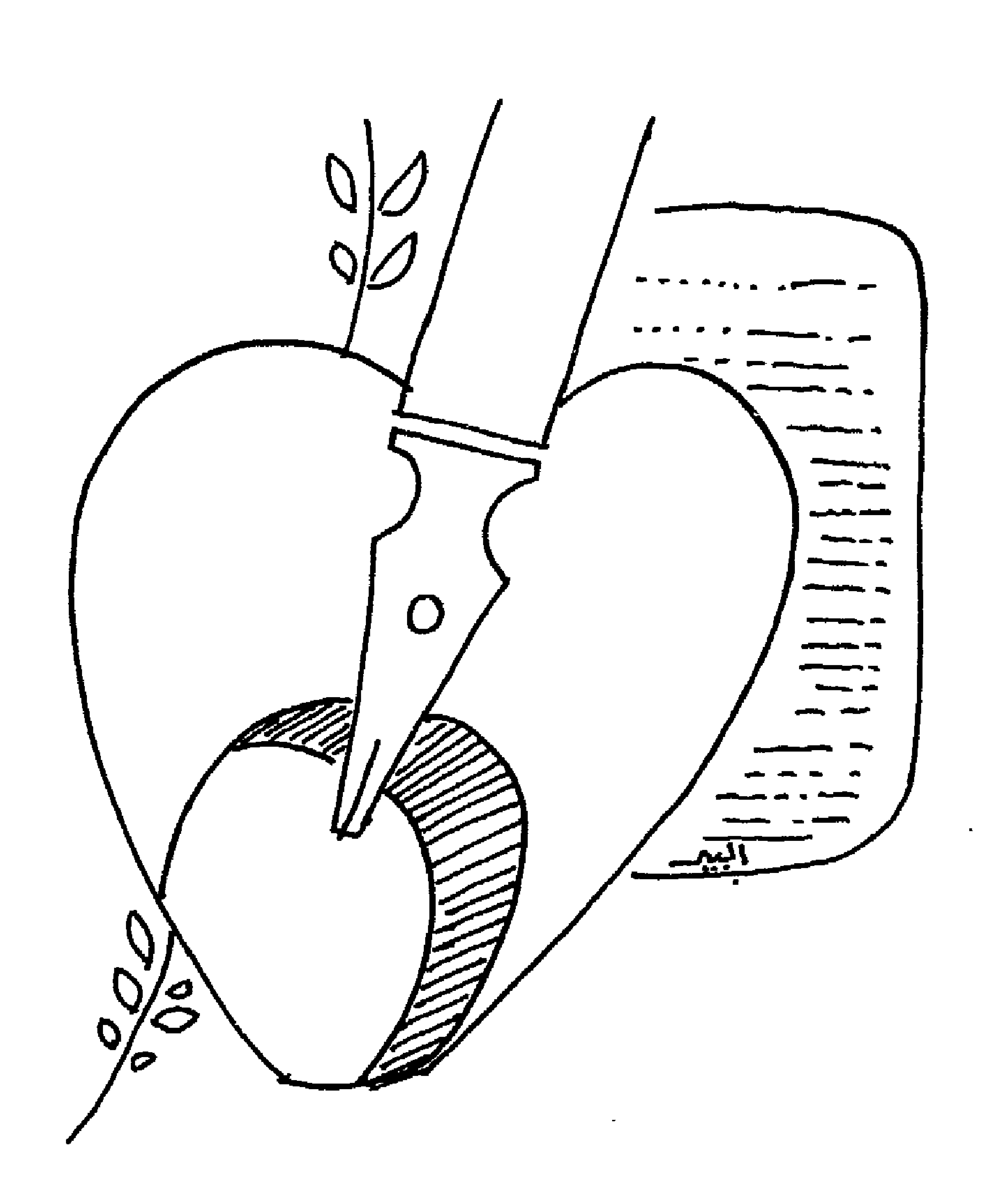
[تعالَ إلينا أيها الكُلي الحكمة، المبدع للخليقة؛ تعالَ أيها الروح القدس يا مَن جلال قدرته يتخلل زهرة الحقول الصغيرة كما يتعمق الأجرام السماوية الكبيرة. تعالَ يا منبع المزايا الفائقة المتعددة التي لا يمكن أن يُعبَّر عنها؛ ويا ذا المجد الباهر الأبدي].

قوام الخليقة الدائم في الروح القدس هو سمة جوهرية ضرورية لا بدَّ منها لإستمرارية حياتها «ترسل روحك فتُخلق. وتجدد وجه الأرض.» (مز١٠٤: ٣٠)

كل مَن تذوَّق الصلاة، يعرف جيداً أن الوقت ليس له شيء من الموضوعية الثابتة المحددة ولا هو واقع محصور في حيزٍ مُغلق. هنا في الدير، بالرغم من طول خِدَم العبادة والقدّاسات وثِقَل الأعمال التي ينبغي أن تكمَّل بالطاعة، وجدت دائماً مُتَّسعاً من الوقت أكثر مما في العالم، وقدرت أن أقوم بأشغال أزيد جداً مما كنت أعمله قبل أن آتي إلى الإيمان. الوقت هنا بلا شك يجري بلطف، ولكن هذه اللطافة تخلو تماماً من أي توانٍ أو كسل.

هذا وقت يصبُّ في الأبدية محمَّلاً بشباكٍ متسعة، ملآنة صيداً ثميناً وكثيفاً للغاية.





يومياتى في دير للراهبات

— ٢ —

■☆●☆■

٢٤ يناير ١٩٧٩

علمتُ اليوم أن القديس يوحنا الذي من كرونستادت Cronstadt قد ترك نبوةً عن ديرنا هذا: وهو أنه سيبقى قائماً حتى النهاية، مقاوماً الزمن ومتحملاً أشدَّ التجارب هَوْلاً.

هذه نبوة لاشكَّ في صحتها، إذ يعيش الدير فعلاً تحت الرعاية العجيبة والأكيدة التي لوالدة الإله. إنها تحتضن هذه الزهرة الفريدة القائمة في عُزْلَة تامة، وعلى أرضٍ جَدبة وقَفرة.

بل حتى أسواره طالما وقفت صدًّا منيعاً أمام هجمات الغوغاء العنيفة، وها قد حُفِظَ هذا المكان بنعمة الله، وما زال حتى الآن مجرى دائماً لدموع التوبة، ومذبحاً تقدَّم عليه القرابين من أجل العالم كله، ومنه تتصاعد الصلاة الدائمة بلا انقطاع من أجل كل واحد، وعن جميع الناس(١).

---

(١) هذا التعبير مقتبس من القانون الإفخارستي في قدّاس القديس يوحنا ذهبي الفم الذي يصلي به الروس، فذبيحة المسيح الروحية تشمل الكون بأسره. وهكذا، وعلى هذا المثال، ينبغي أن تكون ذبيحة الراهب اليومية التي يقدمها على مذبح قلبه يجب أن تستهدف الخليقة كلها بصفة دائمة.

«مَنْ هو الراهب؟ هو إنسان صلاة من أجل العالم كله». (إجابة السيدة العذراء على سؤال الراهب بائيسي فيليتشكوفسكي Païsii Velitchkovsky ، استشهد بها الأب سلوان).

بـدأتُ هـنـا أتهذب بـأسلوب التعامل في الحياة المسيحية الحقَّة وأستخدم تعبيراتها الخـاصـة الدقيقة المميَّزة في آداب الحديث. فيا لعمق الرد — على سبيل المثال — على كلمة: «شكراً» فبدل أن يُجاب عليها بكلمة «عفواً»، يُردُّ بالقول: «مجداً لله»؛ أو قـبـل أن يـدخـل المـرء قـلايـة (أو غرفة) جاره، يُقال: «يا رب يسوع المسيح ابن الله تـراءف علينا» (في الأديرة اليونانية تختلف التعبيرات بعض الشيء، فبدل «شكراً» يُقـال: «صـفـح الله عـنـك». وقـبـل الدخول إلى قلاية آخر يُقال: «بصلوات آبائنا الـقـديسين، يا رب يسوع المسيح ابن الله تراءف علينا»). وهكذا الأمر في كل خطوة نتقدمها، بل وفي كل شهيق وزفير (ندعو باسم الرب)(٢).

٢٥ يناير ١٩٧٩

هذا اليوم بكامله كان يوماً رئيسياً في حياتي.

فـيـا لِـكَـرَم جـودك فيما أطعمتني به اليوم يا رب! فليس حدودٌ لسخاء عطاء حُبك يا إلهي!

ولـكـن دعنا نبدأ الكلام أولاً في الموضوعين الأساسيين: الاعتراف، والتناول من القربان المقدس.

حاول عدو الخير أن يُنكِّد عليَّ ويجرِّبني بشدة، حتى أزلَّ عندما أجد نفسي محرومة اليوم من التناول المقدس: فالبارحة مساء، بعد أن أكلت كثيراً، دخلت في حوار تافه مع امرأة غير مـعـروفـة، فـلـم أتـمـكـن بعدها من أن أتلو صلوات الإستعداد للشركة المقدسة.

استـيـقظت هذا الصباح الساعة الخامسة، ودون أن أدري السبب وجدت نفسي

(٢) وفي أديرتنا القبطية تُستخدم كلمة: «الرب يعوضك» بدلاً من: «شكراً»، و«اصنع محبة وافعل كذا...» بدلاً من: «من فضلك»، و«أخطأت سامحني» بدلاً من: «متأسف»... وهكذا...

متَّجهة نحو المطبخ، لكي أحتسي ما يسمونه قهوة اليقظة. ولكن بعد أن تنبَّهت وعدت إلى صوابي، عدلت عن هذه الفكرة. ورجعت ثانية كما كنت.

بَيْدَ أنني بعد أن طلبت بركة القديسة الشهيدة تاتيانا Tatiana ، وكليَّة الطهر العذراء مريم تقدمت للاعتراف آخر الكل.

كان أب الاعتراف هو الأرشمندريت ج. ولأول مرة آتي لأعترف عن خطايا ارتكبتها على مدى ست سنوات في حياة الضلال التي كنت غارقة فيها. لم يكن هذا سهلاً عليَّ. في بادىء الأمر أعاقني الحياء من أن أبوح بشيء، ولكن بعد قليل انهمرت الدموع. وأخيراً تم الاعتراف، وأصبحت روحي الآن منفتحة تماماً على الله من عمق كيانها، ولم يَعُدْ أبالسة الماضي يتجاسرون بَعْدُ على عمل شيءٍ لإزعاجي.

وهذا الأب ذو السمات الوديعة الهادئة لم يزدرِ بي، وفي نفس الوقت لم يستهن بالأمر. ولكن كل ما قاله لي: «نعم، هذه خطايا ثقيلة». ثم نصحني أن أردِّد خمس مرات في اليوم صلاة: «افرحي يا ممتلئة نعمة. الرب معك». على أن تكون كل مرَّة مصحوبة بالسجود الكامل (ميطانيا)، وهذا يكون على مدى أربع سنوات.

أهِّلْني يا ربُّ أن أعمل من أجلك دونما تكاسل لأُعوِّض عن كل السنين الماضية التي عملت فيها لحساب إبليس الخدَّاع.

اليوم عندما كنت في الكنيسة، وعيناي مرفوعتان إلى السماء، إذا بي أبصر فجأة «كلية القداسة» متسربلة بسحابة كبيرة تلمع بالضياء الباهر، مُحاطة بجوقة من الملائكة يكوِّنون هالة متموجة من النور السماوي حولها. إنها هي تماماً كما طلبتها في صلاتي. وها هي الآن بذات كيانها الشخصي الحي تتنازل باتضاعها إليَّ.

يا والدة الإله، يا كلية الطهر، نوري وأملي وسِتْري، لا تتركيني!

٢٧ يناير ١٩٧٩

استيقظت هذه الليلة إثر حُلم مفزع، ولكن عندما لمحت أيقونة العذراء تحمل طفلها الإلهي فوق فراشي، أدركت أنني ما زلت في الدير، فامتلأت نفسي بالاطمئنان وتمتعت بالسلام مرة أخرى؛ وأحسست بالفرح الغامر يملأ كياني بالكامل. هذه الخبرة لم يسبق لي أن ذقتها البتة من قبل؛ وودت لو تكون هذه الآونة هي نهاية حياتي على الأرض.

في الساعة الخامسة صباحاً تبدأ في الكنيسة خدمة نصف الليل، وهي تشمل: تلاوة صلوات، ترديد بعض المزامير، إنشاد ألحان موسمية. هذه التسابيح والقراءات أصبح مجرد سماعها في الدير محبَّباً إلى قلبي للغاية، إذ أُحس أنها تأتي نقية صافية بأصوات نفوس قد تطهَّرت وتقدَّست بالصلاة الداخلية. من ثَمّ يبدأ القداس في السابعة، الذي تُمثِّل ألحانه، بالمقابل مع ترديد أي صلوات أخرى، شيئاً فريداً من نوعه وفائقاً إلى أبعد الحدود.

في بادىء الأمر يندهش الإنسان بشدة، ولكن رُوَيداً رُوَيداً يبدأ الكيان كلّه في الإنفتاح على الله. هذا حفل وليمة العرس للنفس الراجعة إلى الله، وعودتها إلى بنويتها الملكية...

١١ فبراير ١٩٧٩

الرب أقام ديرنا في مكان بهيج على رابية عالية، إنه منعزلٌ عن أي ضوضاء، وقد كساه برداء أبيض ناصع من الثلج، يأخذ بألباب الناظرين من الزوار الذين كانوا يحسون بالهيبة كلما اقتربوا منه، ويكادون ألاَّ يصدقوا أنفسهم أنهم يحيون في عالم الواقع.

وبالرغم من أن هؤلاء الزوار كانوا يحضرون بأعداد مهولة في سيارات ركاب

كـبـرى إلا أنـه، بمجـرد وصولهم، كان يشملهم مسحة من الهدوء التام، بل ونوع من الرهبة المقدسة.

حضر الـيـوم جماعة من السيدات الطاعنات في السن آتياتٍ من إحدى مقاطعات سيـبيريـا. وكُـنَّ، مـنـذ عـدة سـنوات، يقتصدن من نفقاتهن الضرورية للإعداد لهذه الرحـلـة الطويلة إلى الدير، وهُنَّ يقرأن الآن — بدون عائق — الإنجيل الذي يمسكنه في أيديهن لأول مرة في حياتهن وهن يبكين من فرط التأثر!!

في الحـقـيـقـة لم يسبق لي أن رأيت في أي مكان آخر وجوهاً بهيَّةً وبَهِجَة مثل هذه التي شـاهـدتهـا في الدير. إن المرء لينذهل من قوة دلالة تعبيرها وطهارة ملامحها، حتى يوشك على الاعـتـقـاد بـأن هـذه يمـكـن أن تـكـون أكـمل مثاليات يتطلع إليها كبار الـرسامين عندما يصورون لوحاتهم الفنية الرائعة التي تمثل أعظم الشخصيات الروحية (التي وردت في الكتاب المقدس أو في التاريخ).

عـندما أتأمل في المكان الذي أعطانيه الرب لأحيا فيه بعض الوقت، وها الآن لي مـا يـقـرب مـن شهر، أنذهل! فلم ألحَظْ هنا قط مَن يُلقون نظراتٍ باطلة أو فضولية، ولم أسـمـع البتة ضحكاً غير لائق، كما أني لم أعُدْ أخشى بعد من التطلُّع الى الناس أو أن أتحدث معهم، وبِتُّ لا أخاف الخروج من قلايتي أو من الكنيسة إلى الشارع.

ما أجلَّ هذا قدْرَاً؛ كم من جروح ضُمِّدَتْ، وكم من قوى روحية رُبِحَتْ!

١٢ فبراير ١٩٧٩

قـد رتـب لي مـدبـر حـياتنا السماوي، بحكمته الفائقة، ألاَّ أُضيِّع دقيقة واحدة في أوهـام بـاطـلة أو في أعمال لا فائدة منها. لذلك، فإني طيلة اليوم أقضيه في تلاوة سفر المـزامير واقفة أمام أيقونة المخلِّص. وقد يَحْدُث أحياناً أن آخر كلمات الصلاة تتوه مني في آخر ومضة للوعي، بعدها أرتمي ككتلة صمَّاء على مرقدي.

عجيبٌ الله في كل طرقه التي يقود بها حياتي!

عجيبة هي المعرفة التي يتدرج بي فيها، والمعونة التي يؤازرني بها، ورعايته لي في كل دقائق أموري.

ها قد منحني الآب السماوي حقاً أن أكون في بيته، وما عليَّ الآن إلاَّ أن أردِّد مع المرنم: «خيرٌ لي أن أبقى على عتبة بيت الرب من أن أسكن في خيمة الأشرار.» (مز٨٤: ١٠)

كان موقف الأب الذي اعترفت عليه من جهتي يدعو حقاً إلى الدهشة. فبينما كان يعتريني الخجل بسبب جسامة خطاياي، وكنت أظن أن هذا الكاهن الوقور بعد أن عَلِمَ بها لن يعيرني بعد ذلك التفاتاً ولن يوجِّه إليَّ كلمةَ واحدة؛ ولكن ما أذهلني بشدة أنني رأيته — على النقيض مما كنت أفكر فيه — وكأن قصة حياتي هذه المرعبة لم تحدث بالمرَّة. فكثيراً ما كنَّا نتحاور في الأمور الروحية، وإني لَفي غاية من التعجب لِمَا وجدتُه من كنوز ثمينة في هذه الصداقة الجديدة.

هنا التقيت أيضاً بمسكينة كانت وقتاً ما أستاذة تُدرِّس الإلحاد. بعد عودتها للإيمان كلَّفها أبوها الروحي بأن تعمل بقدر إمكانها وتقود إلى الله تلك النفوس التي كانت قد أقنعتها فيما سبق بأن يحيدوا عنه. إلاَّ أنها لم يَعُدْ بعد لها القدرة أن تُعلِّم. فهي الآن مسكينة في أسمالها البالية وهيئتها التي تدعو إلى الشفقة، لا يحفل بها أحدٌ، ولا يُسْمَع لها كلام؛ لذا خمدت شجاعتها لعدم قدرتها على القيام بهذا الأمر.

هذا جعلني أسترجع أفكاري: فكم من نفوسٍ أعْثَرتُها أنا أيضاً وسمَّمتها بأقوالي الحمقاء المخالفة للصواب. فهل يمكنني بعد أن أُعوِّض شيئاً مقابل كل آثامي السالفة، وعن مثل ذلك الكلام الذي كنت ألغو به على غير وعي مني؟

يُحكى عن هذا الدير أن والدة الإله ظهرت فيه أكثر من مرة لتباركه، وكان الوقت التقليدي المتوارث أن مجيئها كان الرابعة صباحاً. وفي الواقع أن قوة محبتها تتجلى هنا بوضوح يكاد أن يكون محسوساً من الجميع.

بل وأحسست يقيناً أنها لم تتخلَّ عني، حتى إلى عتبة باب الدير وقت خروجي لآخذ مكاني في الأوتوبيس بعد انتهاء المدة المحددة لإقامتي. فحتى هذه الآونة لم يكن لي رغبة أو إرادة في شيء إلاَّ أن أعي بوضوح ملء الحياة الروحية الجديدة وأدرك كمال قوتها.

ولكن في لحظة خروجي كنت فقط أُحس بقليل من الأسى، إذ لم أجد الأب الروحي الذي اعترفت عليه ليبارك لي طريقي قبل مغادرتي الدير. وإذ بي فجأة أتقابل معه على التو في مدخل الدير، فأخذ يدعو لي ويمنحني بركته...

مررت قبل تركي للدير بنبع الماء المبارك الذي كان قد لمحه قديماً بعض الرعاة الذين كانوا يرعون قطيعهم بالقرب من هذه البقعة... ومما يُذكر أنه يتردد على هذا النبع كثيرون من المرضى.

ما أعجب هذا المشهد! في جوٍ شديد البرودة، وفي غابة مغطاة بالجليد، وفي عين قليلة العمق مليئة بالماء القارص البرودة، يتقدم الناس كلٌّ بدوره ليأخذوا عنه ويغتسلوا. ومع هذا لم تظهر أبداً أية أعراض مَرَضيَّة؛ بل على النقيض، فهناك حالات الشفاء تُعَدُّ بالآلاف. وكل هذا يتم دون أدنى افتخار، ودون أي حبٍّ خاص للمغامرة أو المجازفة. فهؤلاء المرتادون يغطسون في الماء الشديد البرودة بكل بساطة كما لو كانوا يأخذون حمَّاماً عادياً في بيوتهم.

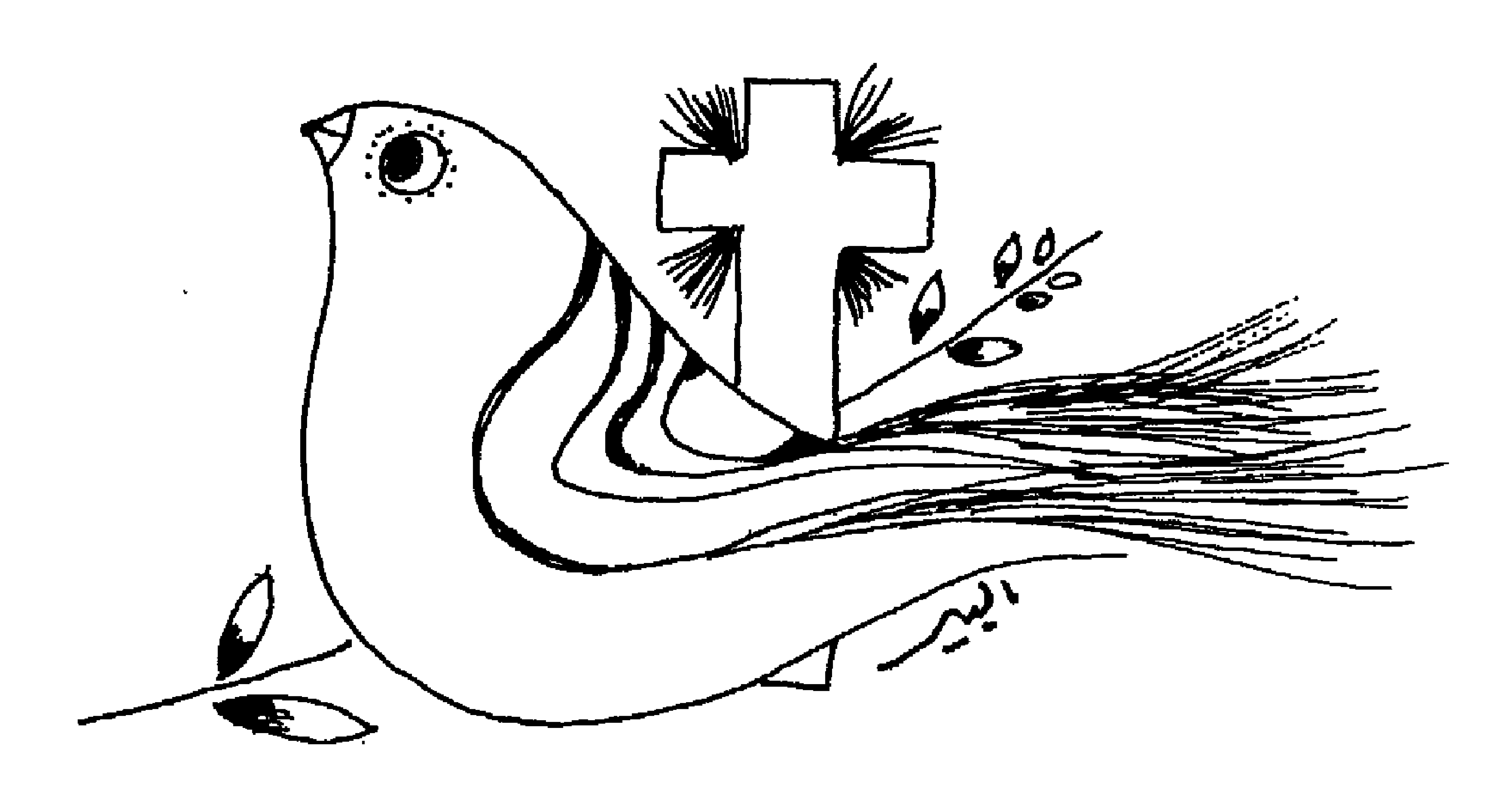
«إيمانك خلَّصك». هذا هو المعنى الصحيح الذي تستعلنه حقيقة جسارة وإقدام

أولئك الناس، وعدم تهيّبهم من خطورة شدة برودة الماء.

لنتمعن في أقوال المخلّص هذه التي قالها وهو — في غالب الامر — في حالة أسى لأولئك القوم الذين كانوا مرضى بعدم الإيمان: «أيها الجيل الشرير الفاسد إلى متى أكون معكم». ألم يعرف الرب أكثر من الكل ما هو الجانب الحقيقي من ذلك العمل الأسطوري؟ إنه لمن المؤسف والمضحك معاً أن نرى كيركجارد (فيلسوف وجودي) في كتابه: « Crainte et tremblement الخوف والإضطراب»، يعتبر عمل إبراهيم في تضحيته بابنه قمة المستحيل، ويقترح على الجميع أن يبلغوا إلى هذا المستحيل إذا شاءوا أن يصيروا مسيحيين.

كل شيء سيبقى أسطورياً واختلاقياً لمَن يرى في المسيحية أمراً ما مستحيلاً أو مخالفاً لنواميس العقل.

أما الإيمان فعلى النقيض: إنه البساطة المطلقة، فهو لا يقلق ولا يهتز مع التناقضات الظاهرية أيًّا كانت.



قصص مسيحية من واقع الحياة

تصدر منفصلة في كتيبات صغيرة، سبق نشرها في مجلة مرقس لمؤلفين متنوعين:

١ ــ المحبة تُدخلنا أمام الله.
٢ ــ قصص عن الإيمان والمعجزات.
٣ ــ إيمان الطفولة العجيب.
٤ ــ إني مستعد أن أموت ثانية.
٥ ــ كيف عُدت إلى الله.
٦ ــ قارع الناقوس.
٧ ــ تعالَ أيها الطفل يسوع.
٨ ــ والدة الإله تأتي لاستقبال مريض...
٩ ــ ليلة عيد ميلاد في أوكرانيا.
١٠ ــ الليلة العظيمة.
١١ ــ جمعة آلام وعيد قيامة.
١٢ ــ ضيف ليلة عيد الميلاد.
١٣ ــ قداس في غرفة الإعدام.
١٤ ــ صغير ولكنه جميل.
١٥ ــ آلام الكنيسة ... طريق انتصارها.
١٦ ــ مغتصبو الملكوت.
١٧ ــ مولودون من جديد.
١٨ ــ المصالحة مع الله.
١٩ ــ شهود وشهداء.
٢٠ ــ اعترافات سجين تائب، والأب أنسطاسي.
٢١ ــ فنانون للمسيح: مسرحية تتحول إلى حقيقة،
الموسيقار الباحث عن الحق.

تُطلب من :
دار مجلة مــرقس
القاهرة : ٥٠ «أ» شارع شبرا ــ ت ٧٧٠٦١٤
الإسكندرية : ٣٤٤ طريق الجيش ــ جليم ــ ت ٥٨٦٦٤٤٥

للأديبة والفيلسوفة الروسية المعاصرة تاتيانا جوريتشيفا Tatiana Goritchéva، التي وُلدت عام ١٩٤٧ في لينينجراد بروسيا. وقد صارت فيما بعد رائدة في قيادة حركات الشبيبة الشيوعية، وذات مكانة هامة فيها. ثم اهتدت إلى المسيحية بقوة غامرة، وبحماس شديد لكل ما هو روحي بحسب الإنجيل والتقليد الكنسي الحي. ثم أسست مع صديقات لها حركة النهضة النسائية المسماة: **Maria**، التي كان مبدأها الأساسي أن تضع كل نشاطاتها تحت رعاية والدة الإله متخذين منها مثالاً (في تسليم حياتها كلية لله). وإذ استُبعِدت تاتيانا جوريتشيفا من روسيا بسبب مجاهرتها بخبراتها الدينية بعد قبولها المسيحية أقامت في فرنسا وما زالت.

وهي تبين في هذا الكتاب ـ من خلال خبرتها الشخصية ـ كيف أن الطبقة المثقفة الروسية (من فلاسفة وأدباء وفنانين) تتَّجه اليوم إلى المسيحية كحلٍّ نهائي يعيد للحياة اليائسة معناها ويسمو بالإنسان فوق الكُفر واللامعقول (ويجعله يمسك بالحياة الأبدية والحق ذاته). إن تاتيانا جوريتشيفا مثل كثيرين آخرين في ال السوفيتي تستعيد فهم التعبيرات والرموز وكل ما يجري من في الكنيسة الأرثوذكسية باندهال وتعجُّب شديدين. والتقليد كنز لا يُقدَّر بثمن والارتباط بالأب الروحي ذو أهمية أساسية.

الثمن ٧٥